تنزيه القرآن الكريم عما نسب إليه من أساطير الأولين

الجن في القرآن الكريم



تأليف :

هاني طاهر

الجن في القرآن الكريم

المقدمة:

أشهد أن لا إلـــه إلا اللـــه وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدا عبده ورسولـــه.

والحمد للـــه رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد خاتم الأنبياء والمرسلين. وبعد:

فلن يترحم علينا حفدتنا عندما يعلمون أن أجدادهم كانوا يعزون الأمراض النفسية إلى الأشباح، وعندما يعلمون أن القلة الباقية صامتة وكـــأن الأمر لا يعنيها بحال. ولن يفتخروا بأجدادهم الذين كانوا يظنون أن الجن الشبحي يسكن الأماكن المظلمة، وأنـــه يضر وينفع، وأنـــه يتزوج من الإنسان.

لقد طار شعر رأسي عندما عرفت أن بعض الناس يعتقدون أن الخنثى ناتج عن زواج البشر مع الجن الشبحي، وأن لـــهذا الجن الشبحي قدرة على التشكل بـــهيئة إنسان أو حيوان. ولقد صعقت عندما علمت أن نقاشًا حصل بين بعض الفقهاء في مجامعة الإنسي للجني، وفيما إذا كان هذا يوجب غسلاً أم لا!!

وقد أيقنت بضرورة تبيان الوجه الحق في موضوع الجن كما جاء في القرآن الكريم، بعد أن تقدم أحد زملائي في جامعـــة القـــدس المفتوحـــة ليكتب حول الجن وحياتـــه، وعلاقتـــه بالناس، وزواجه منـــهم، واختطافه لـــهم. وكنت قد كتبت عن موضوع النسخ في القرآن الكـــريم، وأثبت تنـــزيه آيات القرآن عن النسخ والنقصان. لكن زميلي ما زال يبحث، مع أن الفصل الدراسي أوشك على الانتـــهاء[1].

وقد زار العديد من المشايخ، والعديد من أطباء النفس. أما المشايخ فقد أقروا بالتلبس، معتبرين أن الواقع يشهد على ذلك بشكل قاطع؛ فضـــلا عن الأدلة الشرعية في القرآن والسنة. بينما أنكر الأطباء الذين التقى بـــهم هذه الظاهرة مؤكدين أن حالة كهذه لم يشاهدوها، وأن هـــذا لا يعدو أمراضًا نفسية تم معالجة الكثير منـــها بالأدوية.

ولا يكاد يصل إلى نتيجة؛ فالقصص التي تروى لـــه حول التلبس لا حصر لـــها، وهو يتساءل : هل يمكن أن يكون كل هذا توهما[2]؟؟

وهو، في الوقت نفسه، لا يرى دليلاً شافيًا على التلبس غير هذه القصص التي تم نقض الكثير منـــها، وتبين عدم جديتـــها، وأنـــها مثل كثير من قصص الناس والعجائز تفتقر إلى الدقة العلمية، وتبالغ في وصف الأحداث إلى حد اختلاقها. ومن ضمن القصص التي حدثه بـــــها أحـــد (كبار مخرجي الجن من أجسام الناس): أن صبيًا في العاشرة من عمره قد تلبس بـــه جن، وعندما قرأ عليه هذا الشيخ القرآن أخذ الجن يتكلم خمس لغات بطلاقة. وعندما سألـــه زميلنا عن طريقة معرفتـــه بـــهذه اللغات الخمس، أجابـــه أن خبيرًا باللغات كان متواجدًا في المكان.

وقد طلبت من زميلي أن يتابع القضية إلى نـــهايتـــها، لنعرف خبير اللغات هذا، ومن ثم لنصل هذا الصبي، إذ إن هذه القصة، لـــو صـــحت، لكانت دليلاً بيّنا على التلبس، ولكانت نتائج بحثه هامة ومثمرة، ولحاز أعلى الدرجات.

لكن تبين أن القصة لا أصل لـــها، وأنـــها من مبالغات الناس. إذ إن السامع لا يهمه صحة الخبر، فلا يكتفي بنقلـــه فقط، بل يزيـــد عليـــه. وكيف لا يثق بصحتـــه وقد جاءه من الشيخ المعروف!!

وبعد أن تبين عدم وجود خبير اللغات، ذكر لـــه الشيخ المتعامل مع (الجن الشبحي) قصة أغرب من الخيال، بحيـــث بـــدت الأولى لا تـــذكر مقارنة بـــهذه، فقد حدثه عن امرأة من مخيم قريب من طولكرم، تزوجها جن شبحي، وقد أجهضت المرأة بعد ثلاثة أشهر من الحمل لتضـــع جسمًا أسود سرعان ما اختفى.

كما حدثه عن جن تشكل بـــهيئة شخص من حركة حماس، أيام الانتفاضة، وصار هذا الجن يثير الفتن والقلاقل بين النـــاس، مـــا زاد في الخلافات. ولكن اللـــه سلم؛ حيث اكتشف الشيخ جريمة الجن.

---

[1] كان هذا في كانون الأول من عام 1999م

[2] يستطيع العوام وأنصاف المتعلمين أن يأتوا بعشرات الأمثلة تفيد أن الطب عجز في علاج حالات مرضية، ونجح قرّاءُ القرآن بطرد الجن من جسد المريض، ما أدى إلى شفائه. أقول: ليس مهمًا الآن أن أؤكد أن هذه أمراض نفسية يمكن أن تشفى بقراءة القرآن أو بمعاملة المريض بطرق معينة، لكن المهم أن أذكر أن هناك مئـــات القصص التي تؤكد أن هؤلاء الذين يعتقدون بالتلبس قد زادوا المرضى مرضا على مرض، أو قد أنشأوا أمراضًا من لا شيء، وهناك مئات الحالات التي تسببوا في زيادة مرض المريض فيها، أو على الأقل في التأخر في عرضه على الطب، وهذا أدّى إلى تضاعف المرض. ولكنهم يهملون هذه الأمثلة.

تساءلت: هل نحن في فلم هندي؟! وإلى متى سيبقى هؤلاء ينشرون الخرافات بين الناس؟ فواللـــه لولا مهاجمتي هذه الخـــزعبلات وتفنيـــدها، لصدقها زميلي، ولنشرها في بحثه.

وإذا كان هذا حال زميلي المثقف الواعي، وإذا كان هذا حال كثير من المشايخ، أفلا يستحق الأمر نـــهضة منا؛ نظهر فيها موقـــف الـــدين الحنيف، وبراءتـــه مما ينسبونـــه لـــه من أساطير؟

من هنا لا ينبغي أن يحتج أحد بأننا نتكلم في مواضيع لا طائل منـــها، بل غدا تصحيح العقائد في هذا الباب أمرا غير قابل للتأجيل.

من هنا عقدت العزم، بعد التوكل على اللـــه، لأبين تفسير الجن في كتاب اللـــه.

ومع أن نتائج هذا البحث ستكون غريبة جدًا بالنسبة للكثيرين، لكن هذا لا ينبغي أن يكون عائقًا أمام اتباع الحق. وكلي يقين أن هذا هـــو التفسير الحق، ومن فسر الجن بالأشباح فلا دليل لـــه سوى الخيال الذي زرع في نفسه منذ طفولتـــه، وسوى تفسير خاطئ لآيات قرآنية، أو رواية حديث بالمعنى أضاعت معناه الأصلي من خلال سوء فهم الراوي.

10 لقد استخدمت الحاسوب للبحث عن كلمة الجن والجان والجنة، والناس والإنس والإنسان. وقد كانت النتائج ساطعة في تبيان المفهوم الحقيقي للجان، وذلك من خلال الربط بين الآيات القرآنية، ومن خلال ربطها بالمعاني اللغوية.

أدعو اللـــه تعالى أن يوفق القراء لاستعمال عقولـــهم التي وهبـــهم اللـــه إياها، وجعلـــها مناط تكليفهم، ولا يؤجروها لغيرهـــم ليفكـــروا عنـــهم. واللـــه الموفق والـــهادي إلى سواء السبيل.

أقوال علماء المسلمين في تفسير الجن وعلاقته بالبشر

يمكن القول إن هنالك ثلاثة أقوال رئيسة في هذه المسألة، وإن كان القول الأول منها يتفرع إلى تفرعات عديدة حين الدخول في التفاصيل، وهذه هي الأقوال:

القول الأول: الجن كائن عاقل غير مرئي للبشر، أمره الله تعالى بعبادته، والآن هو مُطالب باتباع القرآن الكريم وبالإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وهو يقوم بتلبس الإنسان والتأثير عليه، لكن قراءة القرآن على الإنسان المتلبس الجن به كفيلة بقتل الجن أو طرده أو حرقه أو إيذائه، وللجن قدرات هائلة لا نعلم حدودها.

القول الثاني: الجن كائن عاقل غير مرئي لنا، ولا نعرف عنه شيئًا، ولا ندري إذا كان مطالبًا بالإيمان برسالة الإسلام أم لا، والعلاقة بين الجن وبين البشر مقصورة على الوسوسة، ولا يتلبس الجن بالإنس البتة.

القول الثالث: الجن هو كل ما استتر في العادة، أو هو ما كان في عنفوانه، حسب المعنى اللغوي، وهو ليس عالمًا قائمًا بذاته، بل يُطلق على الكبراء من الناس لأنهم مستترون عادة، كما يطلق على المحترفين في عمل معين، ويطلق على الكائنات الدقيقة غير المرئية. فالجن صفة وليس اسمًا لكائن حي.

القول الأول.. أدلته ومناقشتها

قالوا: الجن كائن عاقل غير مرئي للبشر، أمره الله تعالى بعبادته، والآن هو مُطالب باتباع القرآن الكريم وبالإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وهو يقوم بتلبس الإنسان والتأثير عليه، وقدرات هذا الجن خارقة فهو يستطيع أن يتنقل حول الكرة الأرضية خلال ثوانٍ، بل يستطيع أن يصل السماء.

ولا شك أن هؤلاء متفاوتون في وصفهم لهذا الجن الذي يتلبس الإنسان، فهم يختلفون كثيرًا في المسائل التالية:

1-مدى قدرة الجن على التأثير على الإنسان، وهل يمكن له أن يؤثر ماديًا على البشر؟ وهل يمكن له أن يؤثر عليهم عن بعد؟ وهل يمكن للجن أن يسبب أمراضًا للناس؟ وهل يسبب الصرع لهم؟

2-ماذا يستفيد الجنّ من عمله هذا؟ وماذا يقدم له الإنسان مقابل خدماته؟

الرأي الغالب يقول: إن الجنّ يحصل على رغباته من خلال خدمته، ولا يقوم بهذا العمل مجانًا. أما طلبه الوحيد فلا يطمع بأكثر من أن يكفر المتعامل معه بالله تعالى، كأن يلقى المصحف في النجاسة، وأن يشتم الله والدين والرسول. لأن" الشيطان ذو النفس الخبيثة إذا تقرب إليه صاحب العزائم والأقسام وكتب الروحانيات السحرية، بما يحبه من الكفر والشرك، صار ذلك كالرشوة له، فيقضي له بعض أغراضه."[1]

وهناك من يقول: لا يعلم سبب تلبس الجن بالإنس إلا الله تعالى، حيث خلق الشيطان فتنة للناس، ليميز الخبيث من الطيب.

وهناك من يقول: لعل الجن يحب أن يتسلى بإيذاء الآخرين، أو غير ذلك من الاحتمالات التي لا نعرفها، لأننا لا نراه، ولا يخضع للتجربة.

3-كيف يمكن طرد هذا الجنّ؟ أيمكن طرده نهائيًا، أم أن عودته محتملة كل حين؟ أتحرق تلاوة القرآنِ الجنّ، أم تؤذيه فقط؟ وما حجم هذا الإيذاء؟

هناك عدة آراء في هذه القضية، أولها: أن الجان يُقتل بقراءة القرآن، ويُحرق. وثانيها: أن الجان يشعر بضيق لدرجة اضطراره الخروج من جسم الإنسان المصروع. أما عن عودته في حالة خروجه فلا تجد رأيًا واحدًا، بل لا يعرفون الإجابة بدقة على هذا السؤال.

أدلة القائلين بهذا القول:

توطئة: بالنسبة إلى الرأي الأول في تفسير الجن وعلاقته بالإنسان كرأي متكامل لا يمكن أن تجد عليه دليلاً أو شبهة دليل في القرآن الكريم، بيد أنه يمكن أن تجد شبهة دليل تفيد جزءًا من هذا التفسير، فمن خلال قوله تعالى (إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ)(الأعراف: 28)، يفهم منها البعض أن الجن يرانا، لكننا لا نستطيع أن نراه. ومن خلال قوله تعالى (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ(الفلق: 5)، يفهم البعض أن هناك تعاونًا بين بعض النساء والجن يؤدي إلى أن يقوم الجن ببعض الأغراض لصالح هذه النساء اللاتي ينفثن في العقد لإحضار هذا الجن. ومع

[1] عاشور، مصطفى، عالم الجان.وأسراره وخفاياه، القاهرة، مكتبة القرآن، ص63

أن تفسير الآيتين ليس صحيحًا، لكننا نريد الآن التركيز على أن القرآن لا يوجد فيه آية تفيد شبهة دليل على المعتقد الشائع بين العوام حول طبيعة الجن وتلبسه بالإنس. بيد أنهم وجدوا ضالتهم في بعض الأحاديث، وفي بعض القصص التي يتداولونها.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين مبينًا أدلة التلبس:" لا شك أن للجن تأثيرًا على الإنس بالأذية التي قد تصل إلى القتل، وربما يؤذيه برمي الحجارة، وربما يروعون الإنسان.. إلى غير ذلك من الأشياء التي ثبتت بالسنة، ودلّ عليها الواقع ... فإنه قد تواترت الأخبار واستفاضت بأن الإنسان قد يأتي إلى الخربة فيرمي الحجارة وهو لا يرى أحدًا من الإنس في هذه الخربة، وقد يسمع أصواتًا، وقد يسمع حفيفًا كحفيف الشجر وما أشبه ذلك مما يستوحش منه، ويتأذى به"[1]

إذًا، لديه دليلان: أولهما: الأحاديث المتعلقة بهذا الموضوع، وثانيهما: الواقع المُشاهد.

مناقشة هذين الدليلين:

أما استدلاله بالسنة، فقد بين العلاّمة حسان عبد المنان[2] ضعف سند هذه الروايات. ولن أتطرق إليها في هذه العجالة، لأن الكتاب ليس هذا غرضه.

أما قوله بأن الإنسان قد يأتي إلى الخربة فيرمي الحجارة وهو لا يرى أحدًا من الإنس في هذه الخربة، وقد يسمع أصواتًا..

فهذا ما أذهلني، فهل تواترت هذه الأخبار كما يقول؟

نعم، تواترت عن المرضى مرضًا نفسيًا، أو عن أنصاف المجانين، أو عن الجبناء المرتعبين. أما عن العقلاء فقد تواتر عكس ذلك، فأنا على استعداد أن أذهب إلى أبعد خربة، وبعد منتصف الليل، وعلى استعداد تام لافتراش حصيرة لأنام عليها، وقد تحداني بعض الشباب في طفولتي أن أذهب إلى وسط مقبرة القرية ليلا، فقبلت التحدي، و لم أذهب إلى المقبرة في تلك الليلة المظلمة فحسب، بل نمت هناك لبعض الوقت، و لم يحصل شيء، وقد كانوا يظنون أن الجنّ سينقض عليّ. وحينها هدمت ما علق بأذهانهم.

ولماذا يسكن الجنّ الخربة؟ لماذا يسكن المقابر؟ ولماذا يُسمع الإنس أصواتًا؟ وهل هو ضعيف إلى هذا الحد ليسكن الأماكن النائية المظلمة؟ ولماذا لا يأتي ليسكن بيننا[3]؟ وماذا يستفيد هذا الجنّ من هذه الفِعلة؟ ثم إن قدرات الجنّ خارقة، كما يقولون، ويذهب إلى أقصى المعمورة في لمح البصر، فلماذا يسكن المقابر والخِرَب؟

إن هؤلاء الذين تواترت الأخبار عنهم بأنهم يسمعون أصواتًا، ويُرْمَوْن بالحجارة، ليسوا إلا مرتعبين مرتجفين خوفًا، بسبب كثرة ما سمعوا من هذه القصص حتى آمنوا بها، فآمنوا بقوة الجنّ الشبحي. وتخيلوا أنه يرميهم بالحجارة ويسمعهم أصواتًا.

وهذه دعوة لكل من سمع صوتًا في خربة، أو مكان مظلم موحش، وظن جنّيًا بالمكان أن يطلب مني أن أذهب إلى ذلك المكان لأثبت له أنْ لا صوتَ ولا حجارة ولا خوف هناك البتة. وسألبي أي طلب بهذا الشأن بإذن الله تعالى.

ومما يتصل بكلام ابن عثيمين ما يسمى بالرصد، حيث يُقال إن الكنوز التي دفنها الأقدمون محمية من قبل الجان، ولا يستطيع أحد أن يصل إليها، حيث يقتله الجنّ أو يؤذيه. ومما يتصل به ما عُرف بلعنة الفراعنة، وهي خرافة لا أصل لها.

لذا فإني أعلن لكل الناس: لا يوجد غول، ولا أشباح، ولا كائنات عاقلة تضرنا. لا ينفعنا ولا يضرنا غير الله العظيم. فأخلصوا لله وحده، ودعوا أوثانكم الجديدة التي أنشأتموها من خيالكم، واكفروا بها، وبكل الآلهة الأرضية.

إن القصص الخرافية التي سمعتها تزيد على المئات، ولست معنيًا بسردها والرد عليها واحدة واحدة، إنما أقول لمن بقي مصرًا على ذلك: سنبطل لك اعتقادك عمليًا، لا نظريًا فقط. فمن كان يظن أنّ أحد الناس يخرج الجنّ من جسم إنسان، فسنثبت أن هذا ليس صحيحًا من خلال حضورنا ومشاهدتنا وتفنيدنا ذلك واقعيا. ومن كان يظن أن الجنّ يسكن خربة، أو مقبرة أو واديًا أو بيتًا، فسنزور هذه المناطق لنبرهن عمليًا، لا نظريًا، بطلان هذا. ومن كان يظن أن سكب الماء الحار ليلاً، أو القيام ببعض الأعمال قد يضر الجنّ، الذي بدوره سينتقم ممن فعل

---

[1] الحلبي، علي، برهان الشرع في إثبات المس والصرع، دار ابن حزم، ط1، 1996، ص81

[2] أورد عبد المنان الروايات التي تتحدث عن تسبب الجن في الصرع وفي غيره جميعها، وبيّن ضعفها. انظر: عبد المنان، الأسطورة التي هوت..علاقة الجان بالإنسان، ص77-96

[3] مع أنهم يعتقدون أن الجن يتشكل بأفعى ويأتي إلى البيوت، ويسمونه العوامر. ويقولون: إذا رأى أحد أفعى في المنزل فلا يجوز أن يقتلها، بل عليه أن يستحلفها ثلاثًا أن تخرج، فإن لم تخرج قتلها. أما الأفاعي خارج المنازل فلا بأس بقتلها مباشرة؛ لأنه لا يُحتمل أن تكون جنًا!!

ونحن لا نكاد نفهم المكان المفضل للجن الشبحي! أهو الأماكن النائية أم المأهولة؟! ونستطيع في كل صفحة نقرأها أن نرى تناقضًا عندهم في هذا الموضوع.

هذا، فسنقوم بهذه الأعمال كلها لنبرهن كذب هذه الادعاءات عمليًا، لا نظريًا فقط. ومن كان يظن أن السحرة يستخدمون الجنّ للإضـــرار به، فسنعطيهم أموالاً ليضرّوا بنا، وعندما يفشلون عمليًا، سيُبرهن لمن شاهد ذلك بطلان هذا الادعاء. ومن كان يظن... فليأتنا.. لنبرهن لـــه عمليًا.

ولا يعني هذا أن أدلتنا النظرية ضعيفة، بل هي واضحة بينة، لكنها قد تطول[1]، وقد لا يفهمها بعض البسطاء، وقد تجد من لا يصبر على قراءة الأدلة، ومواجهة الحجة بالحجة، فمن أجل هؤلاء قلت: إن الأدلة العملية أقوى وأفضل وأسرع تأثيرًا.

نقد القول الأول:

يكفى أن نقول في كل هذا إنه مجرد أوهام لا دليل عليها، لا من قرآن، ولا من سنة صحيحة، ولا من واقع مُشاهد، ولا من معقول، ولا مـــن رأي سديد. فهي ظن، والظن لا يغني من الحق شيئًا. فكيف لو ثبت بأدلة قاطعة بطلان هذه التوهمات كلها؟

ولا بد من ذكر الحقائق والتساؤلات التالية:

أولاً: لم يثبت التلبس في القرآن قط. وهذا الموضوع في غاية الأهمية، لو وُجد، أفيعقل أن يترك الله تعالى توضيحه وهو القائل (اليوم أكملـــت لكم دينكم). فالأمر هذا ليس اجتهاديًا وُضعت قواعده الأساسية، وما على المجتهد سوى الاستنباط.[2] ولا يُقال إنه قد ثبت في السنة، وذلـــك لسببين: أولهما: أن الأحاديث التي تحدثت عن التلبس ثبت ضعفها كما أسلفت، وثانيها: أن السنة هي تفسير وتفصيل لما أجمـــل في القـــرآن الكريم، أي أن ما جاء في السنة والحديث لا بد أن يكون له أصل في القرآن الكريم.

ثانيا: إن التلبس –حسب تفسير القائلين به– يتضمن أن يؤثر الجن الشبحي بالإنسان تأثيرا قد يكون بسيطا وقد يكون كبيرا، لكـــن القـــرآن الكريم ينفي أي تأثير للشيطان على الإنسان سوى أنه يدعو الإنسان إلى عصيان الله. قال تعالى (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ)(إبراهيم: 22)

ثالثًا: إذا فرضنا أن هناك تلبسًا فهل يمكن أن نفرض أن هذا الجنّ يخرج بتلاوة القرآن[3]، إن هذا محال للأسباب التالية:

1–لا يوجد أي دليل من القرآن أو من السنة على أن الجنّ ينـــزعج من قراءة القرآن.

2–نـــزل القرآن رحمة، ولم ينـــزل نقمة؛ فلا يمكن أن يكون مصدر ضيق للجان المُطالَبين بالإيمان.

3–لقد كلف اللـــه الجنّ بعبادتـــه، وإذا كان الجنّ لا يطيقون[4] سماع القرآن فهذا تكليف بما لا يستطاع، واللـــه تعالى منـــزه عن ذلك؛ فلا يكلف نفسا إلا وسعها.

---

[1] للبرهنة على أن الجان لا يلتبس بالإنسان، يُنصح مراجعة كتاب الأسطورة التي هوت لحسان عبد المنان؛ فقد تحدث بإسهاب حول هذا الموضوع، وأتى بأدلة القائلين بالتلبس كلها، وفندها بأدلة واضحة بينة.

[2] رد البعض على هذا الدليل قائلين: إن الرسول ε لم يبين لنا وجوب جمع القرآن، ثم رأينا الصحابة قد جمعوه دون تبيان ذلك منـــهε.

قلت: الأمر مختلف جدا. وهذا قياس مع الفارق. أما جمع القرآن على عهده ε فلم يتم؛ لأن القرآن كان يتنـــزل. وفي خلافة أبي بكر الصديق اجتـــــهد الصـــديق وتوصل إلى وجوب جمعه؛ وذلك من خلال النصوص الشرعية، ومن خلال القواعد العريضة التي جاءت في القرآن و السنة والتي تشمل شئون الحياة كلـــها. لذا قلنا : إن الإسلام لم يترك شاردة ولا واردة إلا وتطرق إليها، وإلا شملتـــها نصوصه وخطوطه العريضة، فكان فتح باب الاجتـــهاد ليستوعب الإسلام ما يستجد مـــن أمور.

أمّا تلبس الجن بالناس فلم يتطرق إليه الرسول أبدًا، مع العلم أن التلبس –لو وجد– غير قابل للتطور، وليس حكمًا خاضعًا للمصلحة، أو أمرًا يدور مع علتـــه. ولو وجد لكان واجبًا على اللـــه تعالى أن يبينه لنا بيانًا شافيًا؛ لأن اللـــه تعالى قال (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وقال (اليوم أكملت لكم دينكم)؛وقد بين لنا القرآن أحكام الميراث غير القابلة للتغيير أو التطور بالتفصيل، و بين لنا أحكام الطلاق بالتفصيل كذلك، أما الأمور غير الثابتة فقد وضع لـــها قواعد وخطوطًا عريضة. بينما لم يتطرق القرآن العظيم، ولا السنة المطهرة الكريمة لـــهذا الموضوع قط يا عباد اللـــه. فهل فرّط القرآن في هذا الأمر الذي يشغل بال ملايين المســـلمين؟؟ نعـــوذ باللـــه من هذا. بل إن القرآن والسنة ذكرا ما هو أقل أهمية من هذا– لو حصل– بكثير.

[3] قال الشيخ يوسف القرضاوي ردًا على سؤال حول العلاج بالقرآن: "هذه بدعة ابتدعها الناس في عصرنا، ولم نعرف في العصور الإسلامية الزاهرة أناسًا فتحـــوا عيادات ليعالجوا الناس بالقرآن، بل حدث العكس؛ إذ عرفت عصور الازدهار الإسلامي الأطباء الكبار" وتابع يقول: "أما أن يدّعي أحدهم أنه يعالج بالقرآن ويمسك واحدًا فيضربه حتى يخرج منه الجن والشيطان، فهذا ما أنزل الله به من سلطان، ولم نر أحدًا من الصحابة الأجلاء مثل ابن عباس أو ابن مسعود فتح عيادات لـــذلك" انظر: الملحق الأسبوعي لجريدة القدس، 26–8–2000، ص8

[4] رد البعض على هذا الاستدلال قائلين: هناك من الناس من ينـــزعج من قراءة القرآن، ويفضلون الأغاني الماجنة عليه، ولم يقل أحد إن هذا تكليف بما لا يستطاع.

4-صرف اللــه تعالى نفرًا من الجنّ إلى رسول اللــه فاستمعوا القرآن، كما ورد في سورة الأحقاف، فلم ينــزعجوا من ذلــك، وعنــدما عادوا إلى قومهم وأنذروهم لم يَرِدْ أنَّ أحدًا منـــهم انتابـــه ضيق شديد لسماع القرآن. وتكرر الموضوع في سورة الجنّ[1].

5-من المعلوم أن قراءة القرآن تملأ الآفاق، فالمذياع، والتلفاز، والمصلون، والقراء وحفظة القرآن تملأ الآفاق قراءتـــهم، فهل الجـــنّ سمعُـــهُ ثقيل، بحيث لا يسمع القرآن إلا إذا قرئ بجوار أذن المتلبس بـــه؟

6-إذا كان القرآن يزعج الجنّ لـــهذا الحد، فلماذا لا يخرج من جسم الإنسان بمجرد البدء بالقراءة، ثم يعود فور خروج قارئ القرآن؟ أم تراه بلغ من الغباء الغاية؟

7-ما الذي يجبر الجنّ على التحدث بأسرار الآخرين لعدوه قارئ القرآن؟ وبخاصة أنــه يملــك قــدرات هائلــة تمكنــــه مـــن الـــتملص والـــهرب،وغير ذلك.

رابعًا: لا يتفق القائلون بالتلبس على ماهية تركيب الجنّ، ولا على حدود قدراته، أهو مادة، أم أمواج؟ وما العناصر التي يتكون منها؟ وفيمــا إذا كان من الممكن اكتشافها في المستقبل، أم أن هذه العناصر لا يمكن اكتشافها؟[2] وقدرته، أهي بسيطة أم عظيمة؟

ومهما كان من أمر فكيف يتمكن الجنّ من تحريك لسان المريض ليتحدث باسمه[3]؟

خامسًا: إذا فرضنا أن الجنّ يدخل جسم الإنسان، وفرضنا أنه ينـــزعج من القرآن، فهل ضرب الإنسان المتلبَّس به يؤثر في الجنّ إلى حد القتل أو الطرد؟ وما ذنب الناس الذين ماتوا[4]، أو كُسِّرت أطرافهم نتيجة الضرب المبرح؟ ومن أين أتوا بالدليل على أن الجنّ يتأثر بهذا الضرب.[5]

قلت: لم أتحدث عن التضايق العادي الذي ينتاب العصاة والكفار عند تلاوة القرآن، بل تحدثت عن التضايق الرهيب الذي يجعل (الجن) يتخبط ويصرخ، وكأنـــــه يعيش كابوسًا، أو أن مصيبة عظيمة حلت بـــه؛ فما معنى أن يُطالب هذا بالإيمان وهو لا يقدر عليه؟ حيث خلقه اللـــه تعالى يكره القرآن بشدة تؤذيه إلى حد الحرق كما يقول بعض(المتعاملين مع هذا الجن).

[1] قد يخطر ببال القارئ أن الجان الكافر هو الذي يتضايق من القرآن، أما الجان المسلم فلا. أقول: هل يُخلق بعض الجان مسلمًا، وبعضهم كافرًا؟ وإذا كان هكـــذا، وكانوا مجبرين على الإيمان، وعلى الكفر، فعلام الحساب؟

[2] يضيق أصحاب الفكر التقليدي ذرعًا بهذه الأسئلة، ويرمون أصحابها بالابتداع وبالعقلانية وبالنهج الاعتزالي.

[3] قال علي الحلبي : "لا أعلم دليلا شرعيًا يثبت وقوع كلام الجني على لسان الإنسي" وأكد أن هذا هو قول شيخه الألباني. ثم ذكر أنَّه رأى في جريدة (المســـلمون) مقالا للدكتور حسني مؤذن-المدرس في جامعة أم القرى-صدّره بقوله:"استنطاق الجنّ في المصروع لا أصل له" انظر: الحلبي، برهان الشرع، ص51

[4] طلعت علينا الصحف صباح اليوم-عندما كنت في مرحلة مراجعة الكتاب- بخبر مقتل فتاة من (شفا عمرو) تبلغ من العمر 26سنة على يد شخص مـــن مدينـــة (جنين)حاول إخراج الجن من جسدها، حيث قام "بخنق المواطنة ظنًا منه أنه يعالجها، ويحاول إخراج الجن من جسدها، وذلك بحضور عدد من أفراد عائلتها؛ منـــهم شقيقها ووالدها، ولكن لم يحرك أي منهم ساكنًا، رغم الصراخ المنبعث من المواطنة، التي فارقت الحياة دون أن يبادر أي من أقاربها ممن شاهدوا المنظر إلى إنقاذ حياتها من المشعوذ الذي طلب منهم عدم الاقتراب منها بحجة أنه على وشك النجاح في إخراج الجن منها، ولكن النتيجة كانت وفاتها" انظر: جريدة الأيام الفلسطينية،6-8-2000. وذكرت الصحيفة أن الضحية وأهلها ترددوا على طارد الجن خمس مرات، وفي المرة السادسة كانت القاضية. كما ذكرت الصحيفة أن المواطنين أهابوا التعاون مع الشرطة في حملتها الخاصة لمحاربة المشعوذين والدجالين.

قلت: هكذا هم المواطنون، وهكذا هي الشرطة.. يفيقون متأخرين، ولا يدرون كيف يعالجون المشكلة.. إن هذه الشعوذة لا يتم حلها بالقوة، ولا بالاعتقـــال، ولا بالمظاهرات.. بل بتوعية المشعوذين أنفسهم، وبتوعية المواطنين.. وها هو الجن الشبحي قد افتقد تمامًا من قريتي (كفرصور) بعد أن بيَّنا ضعف كيده للمواطنين، بل وبعدم وجوده إلا في خيالاتهم المرتعبة..إنني واثق أن خرافة التلبس لا تزول إلا بدليل عملي يتكون من خطوتين متكررتين: أولهما: مناظرة مع أحد كبار المشعوذين، وثانيهما: مشاركة عملية في عملية (إخراج الجن)..على أن يتم تصوير ذلك تلفزيونيًا وبثه في المحطات المحلية، أو في تلفزيون فلسطين، وإنني على استعداد للقيام بكل ذلك.. وكلي ثقة أنه من خلال ذلك سيبطل دجل الدجالين عمليًا، ولن يعود مبرر لوجودهم.. أما ما دام التلبس يعتقد به كبار العلماء ويأتون على ذلك بشبهات تقنع العوام، فكيف سيقتنع هؤلاء أنهم غير متلبسين بالجن؟ وكيف سيقتنعون بعدم الذهاب للعلاج عند هؤلاء طالما أن الجن هذا يخرج بقراءة القرآن الذي يتلوه هؤلاء الأتقياء؟! ولو تم منعهم بالقوة، أو تم إجبار المشعوذين بالقوة على عدم تقديم علاجهم! فسيجدون عشرات الطرق للالتفاف على هذا المنع، وستفتح سوق ســـوداء لذلك...إذًا، دعونا من استعمال القوة والقمع، ودعونا من الخطوات الآنية المتسرعة، ودعونا من ردّات الفعل التي سرعان ما تزول بزوال مسببها..فالأمر هذا بحاجة إلى معالجة جادة ذات خطوات مضمونة النتائج..وإذا كانت هذه الفتاة قد ماتت فهناك الكثير ممن تُكسّر أطرافهم ضربا، وهناك الكثير ممن تتضـــاعف أعراضـــهم المرضية.. فالأمر كان ولا زال بحاجة إلى معالجة.

[5] إن هذا الفعل يعيد إلى ذاكرتي طقوس القبائل البدائية في العصر الحجري؟ كل هذا بفضل بعض من يدعي السلفية، وهو أبعد ما يكون عنها. حيث وصفهم الشيخ محمد الغزالي بقوله: "إن هؤلاء المتفيهقين عرفهم عصور الاضمحلال العقلي، ولا يمكن أن يظهروا في مجتمع ناضج أو في سلف صالح" انظر: الغزالي، محمد، قضايا المرأة، دار الشروق، ط3، 1991م، ص96

وإذا كان الجنّ يتأثر كثيرًا بالضرب، فلماذا لا يهرب من العضو المضروب ليستقر في عضو آخر، حتى إذا أخذوا بضرب ذلك العضو انتقل إلى غيره، وهكذا؟ أم تراه يحب أن يُضرب؟ ثم ما الدليل على أن الإنسان لا يتأثر بالضرب؟ دع عنك عشرات القصص التي تؤكد وفاة كثير من الناس تحت هذا الضرب المبرح.

سادسًا: لماذا تخصص الجنّ بركوب المسلمين؟[1] ولماذا تكثر هذه القصص في الأحياء الفقيرة والمتخلفة، وتخلو منها الأحياء الراقية؟ ولماذا تكثر عند الذين تعرضوا لصدمة، أو فشل في حياتهم؟ ولماذا تكثر حال تعرض الأمة لهزائم، ومصائب وبلايا؟ ألا يدل هذا كله على أن الأمر لا يعدو كونه مرضًا نفسانيًا؟

سابعًا: لماذا لم يتلبس الجنّ بي؛ مع أنني تحديت جنّ العالم أن يؤثروا عليّ قيد أُنملة؟ ومع أنني أسخر منهم ومن قدراتهم، وأجعلهم أُضحوكة للصبيان، وأُبين عجزهم، وقلة حيلتهم، ولا أزال، وسأبقى بإذن الله تعالى.

وحيث إن التفسير التقليدي لا يجد إجابات واضحة لهذه التساؤلات فإنه مهدوم، وليس أكثر من ظنون لا دليل عليها، بله ثبوت بطلانها، وتناقضها.

أما القول بقدرات الجن الخارقة بحيث إن سرعته تساوي سرعة الضوء أو تقترب منها، أو بقدرته على التشكل فهذا يصطدم بحقائق عديدة، وحيث إنَّه اعتمد على تفسير قد يصح وقد لا يصح، قلنا باستحالته إذا صادم نصوصًا قرآنية، أو صادم اعتقادًا أساسيًا، أو ناقض العقل الصريح. ومن ضمن ما ناقضه هذا التفسير، ما يلي:

1-إذا كانت قدرات الجنّ هائلة، وسرعتهم عظيمة، فلماذا اختار سليمان عليه السلام هدهدًا ليقطع أكثر من 3000كم حاملا رسالة ثقيلة في صحراء شاسعة، لا عشب فيها ولا ماء، و لم يختر جنًا يصل هناك بلمح البصر.

2-إن الاعتقاد بأن للجن قدرة على التَّشَكُّل فيه تشكيك بمعجزات الأنبياء؛ لأن في ذلك خلطًا بين المعجزة الخارقة للعادة، وبين تشكّل الجن الخارق للعادة بالنسبة إلينا؛ ومن ثم فما الذي يثبت لأقوامهم أن هذا النبي من غير المتعاملين مع الجنّ، وأن الجنّ هو الذي يسّر له معجزته؛ فناقة صالح قد تكون جنًا تشكل بها، وأفعى موسى كذلك، وغير ذلك. وإذا كانت المعجزة يقوم بها النبي والكذاب المتعامل مع الجنّ، على حد سواء، فكيف يميز الناس بينهما؟ وكيف سيثبت لهم صدق النبي؟

وإذا كان للجن قدرة على التشكل بهيئة أي إنسان، فأي تلبيس أعظم من هذا؟! فقد نقتل شخصًا ونتهم الجنّ بذلك. وقد تزني امرأة وتدعي أن الجنّ هم الذين اختطفوها. وما الذي يثبت لك أن الإنسان الذي تحدثه الآن ليس جنًا تشكل بهذه الهيئة؟ وبإمكانك أن تتخيل عشرات الأمثلة التي ستوقع الناس في حيرة عظيمة لو صح كلامهم حول قدرات الجنّ.

ولماذا يتشكل الجنّ بأفعى؟ وماذا يستفيد من ذلك؟ ولماذا يختار البيوت ليسكنها؟ وهل حصل أن خرجت أفعى بعد أن استحلفها أحدهم؟

إن الاعتقاد بقدرة الجنّ على التشكل يعني اعتقاد أن هناك آلهة مع الله لها القدرة على الخلق والإيجاد من العدم. وقد سألت القائلين بهذا مرارا: لو صاد أحدكم حمامة تشكل الجنّ بها وأكلها، فهل يحصل على وجبة دسمة من البروتينيات؟ وإذا كسر رِجْلَ هذه الحمامة فهل يصبح الجنّ مكسور القدم عند عودته إلى طبيعته الأولى؟

وقد حصلت على إجابات متناقضة، وبعضهم لم يجب.

إن الإجابة بـ(نعم) تعني أن الجنّ له القدرة على الخلق، وهذا كفر. وإن الإجابة بـ(لا) تعني أن الأمر خداع بصري، وهذا لا قيمة له، ولا واقع. وإن عدم الإجابة تعني أن القوم لا يتفكرون ولا يركّزون، وعلى التقليد الأعمى يعتمدون.

أما اعتقاد أنّ بعضهم يركب ظهر بعض حتى يصل السماء فيسمع ما يقوله الله تعالى للملائكة... فهذا اعتقاد مجوسي يصوِّر أن للعالم إلهين اثنين، أحدهما إله الخير، والآخر إله الشر، وبينهما صراع محتدم. ولهما قدرات خارقة. وكلاهما مصدر المعجزات.

[1] أبدى الشيخ محمد الغزالي استنكاره للاعتقاد السائد بالتلبس فقال ساخرا : "هل العفاريت متخصصة في ركوب المسلمين وحدهم؟ لماذا لم يشكُ ألماني أو ياباني من احتلال الجن لأجسامهم؟"وتابع قائلاً: "إن سمعة الدين ساءت من شيوع هذه الأوهام بين المتدينين وحدهم! إنكم تعلمون أن العلم المادي اتسعت دائرته ورست دعائمه، فإذا كان ما وراء المادة يدور في هذا النطاق فمستقبل الإيمان كله في خطر. فلنبحث علل أولئك الشاكين بروية، ولنرح أعصابهم المنهكة، ولا معنى لاتهام الجن بما لم يفعلوا !!" انظر: الغزالي، محمد، السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، دار الشروق، ط4، 1989م، ص93-94

أما اعتقاد أنــهم يسكنون القبور، فــهذا لتخويف الناس من الاقتراب من هناك. والقول بأنــهم يعيشون في المراحيض يعمل علــى إبقــاء الإنسان في حالة من الرعب الرهيب عند دخولــه الحمام خوفًا من التبول على رأس أحدهم! ومن قال بأن الأشباح تتأذى مــن البــول؟ وإذا كانت تتأذى فلماذا لا تبتعد حين دخول أحدهم الحمام.. (بيتها المُفضَّل)!

القول الثاني. . أدلته ومناقشتها

القول الثاني: الجن كائن عاقل غير مرئي لنا، ولا نعرف عنه شيئًا، ولا ندري إذا كان مطالبًا بالإيمان برسالة الإسلام أم لا، والعلاقة بين الجــن وبين البشر مقصورة على الوسوسة، ولا يتلبس الجن بالإنس البتة، وليس هنالك أي تنسيق بين الجن والإنس.

أدلة هذا القول:

لا يبدو أن لهذا القول أدلة سوى أنه استطاع نقض القول الأول، وأتى بالأدلة القوية لإبطال التلبس، ومن ثم نفى أصحاب هذا القول القصص الواردة في السحر سواء من ناحية سندها أو متنها. ولا شك أن القائلين بهذا القول أقل من أصحاب القول الأول عددًا. ورغم أن آراءهــم في نقض القول الأول قوية، لكن مشكلتهم في عدم مقدرتهم على الإتيان بأدلة لصالح قولهم ذاته. ومن أشهر القائلين بهذا القول الشــيخ محمــد الغزالي، والشيخ الشاب حسان عبد المنان.

ويجد أصحاب هذا القول معارضة شديدة من القائلين بالتلبس، ويُتّهمون بالاعتزال، وبمخالفة ما عليه السلف الصالح. فقد ضــاق (ســلفيو) الزرقاء وعمّان ذرعًا بكتاب حسان عبد المنّان الذي عنونه بالأسطورة التي هوت، وبخاصة أن (حسّان) له باع طويل في علم الحــديث، وقــام بتفنيد المرويات في باب التلبس، مما أثار حفيظة (السلفيين) الذين يحاولون احتكار علم تصحيح الأحاديث وتضعيفها، فأتى هذا الشاب –الذي وصفه الشيخ محمد الغزالي في أواخر عمره بالعلامة عندما كان حسان دون الثلاثين من عمره–فتجاوزهم وتفوق عليهم في هذا البــاب. فلــم يلبث أحدهم إلا أن كتب ردًا على (الأسطورة) بكتاب بعنوان (برهان الشرع في إثبات المس والصرع)، بذل فيه جهدًا ليس بســيطًا محــاولاً إسناد حالات من الصرع إلى الجن الشبحي.

نقد القول الثاني

يتضح من النصوص القرآنية المتعلقة بالجنّ أن ثمة علاقة وثيقة بين الجنّ والإنس، فهما معشر[1]، ويوحي بعضهم إلى بعض، ويستكثر الإنس مــن الجنّ، ويستمتع بعضهم ببعض. قال تعالى (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنْسِ وَقَالَ أَولِيَاؤُهُمْ مِنَ الإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ) وقــال تعالى (شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا)[2]، فهل يُقال بعد هذه الآيات إنه لا علاقة بين الجن والإنس؟

وقد يستغل القائلون بالتلبس هذا النقد مستدلين به على التلبس وعلى الاتصال بالجن الشبحي، بيد أن هذا لا يصفو لهم، حيث إن العلاقة بين الجن والإنس —حسب فهمهم–مقصورة على بعض المشعوذين من الكفرة المتعاملين مع الجن، وهؤلاء قلة بحيث لا يمكن أن يقال عنــهم إنهــم معشر الإنس الذي يستكثر من الجن الشبحي، أو أن يُقال فيهم إنهم يوحون إلى الجن الشبحي ويتلقون منه إيحاءات.

ثانيًا: لو لم تكن هنالك أي علاقة بين الإنس والجن، فلماذا ذكر الله تعالى هذا العالم الذي لم نستفد من ذكره أي شيء. ومعلــوم لــدينا أن القرآن الكريم لا يذكر معلومات لا قيمة لها ولا فائدة.

القول الثالث. . أدلته ومناقشتها

القول الثالث: الجن كائن مستتر عادة، أو هو ما كان في عنفوانه، حسب المعنى اللغوي، وهو ليس عالمًا قائمًا بذاته، بل يُطلق على الكبراء من الناس لأنهم مستترون عادة، كما يطلق على المحترفين في عمل معين، ويطلق على الكائنات الدقيقة غير المرئية. فالجن صفة وليس اسمًــا لكــائن حي.

---

[1] والعشرة: المخالطة. وعشيرة الرجل: بنو أبيه الأدنون، وقيل هم القبيلة، والجمع عشائر. والعشير: القريب والصديق، وعشير المرأة: زوجها لأنه يعاشرها وتعاشــره كالصديق والمصادق. والعشير: الزوج. ومعشر الرجل: أهله، والمعشر: الجماعة، متخالطين كانوا أو غير ذلك. قال الليث: المعشر كل جماعة أمرهم واحد نحو معشر المسلمين ومعشر المشركين والمعاشِر: جماعات الناس.انظر" ابن منظور، لسان العرب، ج9ص220

[2] للتفصيل في هذه الأدلة انظر: ادلبي، محمد منير، أبناء آدم من الجن والشياطين، دمشق: دار الأهالي، ط1، 1993م، ص63-84.

الدليل الأول: اتضح من مناقشة القولين السابقين استحالة صحة أي منهما، فالقائلون بالتلبس لا دليل لهم عليه، والقائلون بعـدم وجـود أي علاقة بين الجن والإنس، وأنهما عالمان منفصلان ينقضهما تحدث القرآن عن الجن وعن وجود علاقة استكثار واستمتاع ومعاشرة بينهما. لـذا لا بدّ من قول ثالث لا يقع في أي تناقض ويجمع بين النصوص المختلفة.

الدليل الثاني: هذا القول مأخوذ من المعنى اللغوي الذي نصته المعاجم العربية.

جاء في لسان العرب: جنَّ الشيء يجنه جنًا: ستره، وكل شيء ستر عنك فقد جُنّ عنك.

جنّ عليه الليل، وأجنّه الليل: إذا أظلم حتى يستره بظلمته.. الجنن: القبر لستره الميت، والكفن لذلك. وأجنّه: كفنه.

وجنُّ الناس وجنانهم : معظمهم، لأن الداخل فيهم يستتر بهم... الجان: ضرب من الحيّات.." انظر: لسـان العـرب، ج2ص385-389. وواضح من هذه المعاني أن الجن يطلق على كل ما استتر، كالزعماء المستترين عن أعين العوام عادة، وكالبكتيريا التي لا تُرى إلا بالمجهر.

"جنُّ الشباب: أوّله، وقيل: جدّته ونشاطه، ويقال: كان ذلك في جنِّ صباه أي في حداثته، وكذلك جن كل شيء أول شدّاته" انظر: لسـان العرب، ج2ص390. واضح من هذا المعنى أن الجن يطلق على شدة الشيء وعنفوانه. وحيث إن هنالك أكثر من معنى لكلمة (الجـن)فـإن السياق هو الذي يحدد المعنى المقصود

الدليل الثالث: لم يخاطب القرآن الكريم إلا عالَمًا واحدًا..هو الناس، أو بنو آدم.. ولم يخاطب كائنات أخرى عاقلة لا ترى بـالعين، والأدلـة على ذلك من القرآن العظيم كثيرة:

1-الخطاب للناس حصرًا في القرآن العظيم

لقد وردت جملة (يا أيها الناس)20 مرة، ولم ترد (يا أيها الجن) قط. والآيات التي وردت فيها (يا أيها الناس) هي:

1-يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(البقرة:21)

وهذه الآية هي الأولى في ترتيب القرآن التي تخاطب المكلفين بالعبادة، وكما هو بين لم تذكر عالما آخر قط. ولو وُجد هذا العالم لكـان هـذا المكان هو الأجدر أن يُذكر فيه.

2-يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنـه لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ(البقرة:168)

3-يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنـها زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنـهمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللـه الَّـذِي تَسَاءَلُونَ بِـه وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللـه كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا(النساء:1)

4-يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلـه مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللـه عَلِيمًا حَكِيمًا(النساء:170)

5-يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنـزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا(النساء:174)

ألم يأت الجن برهان من ربـهم؟

6-قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللـه إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لـه مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلـه إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللـه وَرَسُولـه النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللـه وَكَلِمَاتـه وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تـهتَدُونَ(النساء:158)

ألم يكن محمد صلى الله عليه وسلم رسولا إلى الجن أيضا؟

7-فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّـئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(يونس:23)

8-يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ(يونس:57)

9-قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللـه وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللـه الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(يونس:104)

10-قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ(يونس:108)

11-يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ(الحج:1)

12-يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ(الحج:5)

13-قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ(الحج:49)

14-يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ(الحج:73)

15-وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ(النمل:16)

16-يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ(لقمان:33)

17-يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ(فاطر:3)

18-يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ(فاطر:5)

19-يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ(فاطر:15)

20-يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ(الحجرات:13)

هذه الآيات تشرح نفسها، وقد بقيت الكثير من الآيات التي وضحت أن محمدًا صلى الله عليه وسلم رسول إلى الناس حصرًا. وأن القرآن نزل إلى الناس حصرًا، وأن البيت والحج للناس حصرًا، وأن ضرب الأمثال في القرآن كان للناس فقط، وكان ضرب الأمثال بالناس فقط. وأن الحساب للناس حصرًا. فهل بقي عالم غير عالم الإنسان كلفه الله تعالى؟!

2-خطاب (يا بني آدم)

لم يرد في القرآن الكريم أي خطاب موجه لبني الجن، بينما وردت (يا بني آدم) خمس مرات في القرآن العظيم، وهاكم هذه الآيات:

يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ(الأعراف: 27)

يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ(الأعراف: 28)

يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (الأعراف: 32)

يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ(الأعراف: 36)

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ(يس: 61)

لقد تكرر خطاب (يا بني آدم) في سورة الأعراف أربع مرات، وبعد المرة الرابعة تحدثت الآية عن دخول الإنس والجن في النار، وفي هذا دلالة واضحة أنهما صنفا بني آدم. تمعّن في سياق الآيات، ولست إخالك بحاجة إلى من يفسِّر لك بعد هذا الوضوح في السياق.

يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ()قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ(الأعراف: 36-39)

كما ورد الخطاب لبني آدم -من دون استخدام أداة النداء (يا)- مرتين :

1-في قوله تعالى (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا)(الإسراء: 71)

لم يرد في القرآن الكريم أي تكريم للجن الشبحي وذريته، مع أن الجن مكلف ومحاسب. و لم يرد أي ذكر لتفضيل الجن الشبحي على كثير من خلق الله.

2-وفي قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)(الأعراف: 173)

لم يرد في القرآن المجيد أي إشهاد للجن الشبحي على نفسه، مع أن الجن مكلف باتفاق.

3-الآيات التي ضُربت فيها الأمثال بالناس

لم يضرب أي مثال بالجن، فلم ترد آية تقول: ومن الجن من يفعل كذا وكذا، بينما ورد ضرب مثال بالناس أكثر من عشر مرات، وها هي الآيات:

10 1-وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ(البقرة: 8)

2-وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ(البقرة: 165)

3-فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ(البقرة:200)

4-وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ(البقرة: 204)

5-وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ(البقرة: 207)

6-وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ(الحج:3)

7-وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ(الحج:8)

8-وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ

20 الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ(الحج:11)

9-وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ(العنكبوت:10)

10-وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ(لقمان:6)

11-أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ(لقمان:20)

فهل هذا القرآن العظيم يوجه خطابه إلى عالَمين أم عالَم واحد؟

4-الآيات التي ورد فيها ضرب الأمثال للناس

هناك أكثر من عشر آيات ضربت الأمثال للناس لعلهم يتفكرون ويتذكرون ويعقلون، و لم يُضرب أي مثال لعالم الجن الشبحي!! فلا توجد

30 آية في القرآن الكريم تقول: وتلك الأمثال نضربها للجن لعلهم ...

فهل هذا عدل؟ وهل هذا القرآن العظيم نزل إلى عالَمين مختلفين؟

أما الآيات القرآنية فها هي:

1-تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ(إبراهيم: 25)

2-وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلا كُفُورًا(الإسراء:89)

3-وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا(الكهف:54)

4-قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا(مريم:21)

5-اللـــه نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّـــها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِـــنْ شَـــجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُـــها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللـــه لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللـــه الأَمْثَـــالَ لِلنَّاسِ وَاللـــه بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(النور:35)

6-وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا(الفرقان: 38)

7-وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُـــها لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُـــها إِلا الْعَالِمُونَ(العنكبوت:43)

8-وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَـــهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلا مُبْطِلُونَ(الروم: 59)

9-وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّـــهُمْ يَتَذَكَّرُونَ(الزمر: 28)

10-ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّـــهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللـــه لِلنَّاسِ أَمْثَالَـــهُمْ(محمد:3)

11-لَوْ أَنْـــزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَـــه خَاشِعًا مُتَصَـــدِّعًا مِـــنْ خَشْـــيَةِ اللـــــه وَتِلْـــكَ الأَمْثَـــالُ نَضْرِبُـــــها لِلنَّـــاسِ لَعَلَّـــــهُمْ يَتَفَكَّرُونَ(الحشر:21)

5-القرآن هدى للناس وليس لمخلوقات أخرى

لقد بيّنت العديد من الآيات القرآنية أن الله تعالى أنزلها لتكون هدى للناس، و لم تقل آية إن القرآن نزل ليكون هداية للجن الشـــبحي، وهـــذا يؤكد عدم وجود عالَم مكلف آخر غير البشر، إذ لو وجد، وكان القرآن نازلا إليهم كذلك لاستحقوا آية تبين أنه نزل هدى إليهم.

1-شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْـــزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْـــهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللـــه بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُـــوا الْعِـــدَّةَ وَلِتُكَبِّـــرُوا اللـــــه عَلَـــى مَـــا هَـــدَاكُمْ وَلَعَلَّكُـــمْ تَشْكُرُونَ(البقرة:185)

2-نَـــزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْـــزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْـــزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللـــه لَـــهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللـــه عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ(آل عمران: 4-5)

3-قُلْ مَنْ أَنْـــزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِـــه مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ(الأنعام:91)

فإذا كان القرآن هدى للناس فقط، فكيف نوفق بين هذا وبين شمول رسالة محمدε الإنس والجن؛ بغير اعتبار أن يكون الإنـــس والجـــن مـــن الناس؟! ولا نرى داعي للتأكيد أن القرآن الكريم خلا من جملة هدى للجان.

6- بيَّن الله في القرآن آياته للناس:

لم ينص آية قرآنية أن الله أنزل البينات للجن الشبحي، أو أنه بيَّن آياته لهذا الجن، أو أن هذا القرآن بيان للجن، أو ما شابه ذلك، بينما نـــص بوضوح أنه بيان للناس، وأن الله تعالى يبيِّن آياته للناس، وهكذا، وها هي بعض الآيات:

1-إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْـــزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْـــهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُـــهُمُ اللـــه وَيَلْعَنُـــهُمُ اللاعِنُونَ(البقـــرة: 160)

2-وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِـــنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللـــه يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِـــه وَيُبَيِّنُ آيَاتِـــه لِلنَّاسِ لَعَلَّـــهُمْ يَتَذَكَّرُونَ(لبقرة: 222)

3-هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ(آل عمران:138)

4-بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْـــزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُـــزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّـــهُمْ يَتَفَكَّرُونَ(النحل: 45)

5-لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْـــزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْـــزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّـــاسِ وَلِـــيَعْلَمَ اللـــه مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَـــه بِالْغَيْبِ إِنَّ اللـــه قَوِيٌّ عَزِيزٌ(الحديد:25)

فها هو الكتاب بيان للناس فقط. وما علاقة الجن الشبحي بـــه إذن؟! تفكروا أيها الناس، لقد خلا القرآن العظيم من ذكر أنـــه بيان للجـــان، أو أن الرسول بعث ليبن للجان ما نـــزل إليهم!!

7-أنزل الله القرآن ليحكم بين الناس:

لم ترد آية أن هذا القرآن نزل ليحكم بين الجن فيما كانوا فيه يختلفون، أو ليحكم بينهم بالحق، لكنه بيَّن أنه نزل ليحكم بين الناس بالحق فيما اختلفوا فيه، وها هي الآيات:

1-كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللــه النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنــزَلَ مَعَهُمْ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتــهمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَــهمْ فَهَدَى اللــه الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِــه وَاللــه يَهْــدِي مَــنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(البقرة:213)

2-إِنَّا أَنــزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللــه وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا(النساء:115)

3-يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْــهوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللــه إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَــنْ سَــبِيلِ اللــه لَــهمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ(ص:26)

فإذا كان القرآن هدى للناس فقط، وإذا بُعث الرسول ε ليبين آيات القرآن للناس فقط، وليحكم بين الناس فقط، وإذا كان الأنبياء الســابقون قد بعثوا للغاية ذاتــها؛ فهم يحكمون بين الناس فقط، ويبينون آيات الكتب السماوية للناس فقط، وكانت الكتب التي جاءوا بــها من عنــد اللــه تعالى هدى للناس فقط؛ فأين العالم الآخر المكلف معنا؟؟

لقد خلا القرآن العظيم من ذكر أنــه هدى للجن، أو فيه بيان للجن، أو طلب من الأنبياء أن يحكموا بين الجن. فلماذا الإصرار على اختــراع عالم شبحي رغم نفي وجوده من القرآن بشكل قاطع يا أولي الألباب؟؟

أم أنــه التقليد الذي يصم ويعمي؟؟ إن التحدي مفتوح لإثبات أن القرآن يتحدث عن كائنات شبحية. ولن يستطيع أحد أن يســتدل بآيــة؛ كل ما في الأمر أقوال لبعض العلماء. فاتقوا اللــه تعالى، ولا تقدموا أقوال الرجال على حكم اللــه المبين.

9-لم تتحدث آية قرآنية واحدة عن نبي خاص بالجن الشبحي، بل تحدثت الآيات عن الأنبياء المرسلين إلى قومهم خاصة. ولو كــان القــرآن الكريم مُنـــزّلا إلى الجن الشبحي لاستحقوا أن يُذكر فيه أنبياؤهم السابقون.

10-آيات كثيرة لم تذكر عالَما آخر رغم أهمية ذكره لو وُجد

لا بدّ من التمعن في القرآن وآياته لمعرفة حقيقة الجن.. ولا يصعب أن نستنتج من خلال قراءة القرآن أنه موجه في خطابه إلى البشر، وليس إلى عالَم آخر، فهناك الكثير من الآيات التي تؤكد هذه الحقيقة غير ما ذكرنا آنفًا، ومنها:

1-وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبــه بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ(البقرة:124)

إذا لم يكن إبراهيم إمامًا ومرسلاً للجن، فمن يكون نبيهم؟؟

2-زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَــاةِ الدُّنْيَا وَاللــه عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ(آل عمران:14)

ألم يزين حب الشهوات لعالم الجن الشبحي؟؟ وهل اقتصر هذا على الإنسان؟

3-رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللــه حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللــه عَزِيزًا حَكِيمًا(النساء: 166)

والجن! هل سيكون لــهم حجة على اللــه كونــه لم يرسل إليهم رسلاً؟ وإذا أرسل إليهم فلماذا لم تذكر الآية لئلا يكون للنـــاس والجـــان على اللــه حجة؟ ولماذا هذا (الإهمال) لــهذا العالم الآخر، لو وُجد؟!

4-وَمَا قَدَرُوا اللــه حَقَّ قَدْرِه إِذْ قَالُوا مَا أَنــزَلَ اللــه عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنــزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِــه مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّــاسِ تَجْعَلُونــه قَرَاطِيسَ تُبْدُونَــها وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللــه ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ(الأنعام:91)

إذا كانت التوراة هدى ونورًا للناس فقط، فما الذي أقنع الجن بالدخول في هذا الدين الذي لا يعنيهم؟ وليس فيه أي هداية لهم.

5-هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِــه وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلــه وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ(إبراهيم: 53)

القرآن لم ينــزل ليُنذر بــه عالم آخر غير الناس، فهو بلاغ لــهم وحدهم.

6-بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنــزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نــزِلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَــهمْ يَتَفَكَّرُونَ(النحل: 45)

7-وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلا طُغْيَانًا كَبِيرًا(الإسراء:60)

وهل اقتصرت الفتنة على الناس؟ أيعني هذا أن الجن الشبحي إيمانه قوي لا يتزعزع؟

8-إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ(الحج: 26)

ولماذا يقتصر المسجد الحرام على الناس طالما أن الجن أشباح غازية لا تشغل حيزًا، ولا ترى بالعين المجردة؟ وطالما أنهم خلقوا للعبادة، وأنهم مخاطبون بالأحكام؟؟!

9-وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا(الفرقان: 38)

لماذا لم يجعلهم عبرة للجن الشبحي؟ أم تُراه لا يتعظ البتة؟ أم هو مسير على فعل الشر؟ إذا كان هناك عالمان مكلفان فلماذا لم تقل الآية: وجعلناهم للناس والجن آية؟؟ فتدبروا!

10-أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ(الحج:18)

ألا يسجد لله كثير من الجن أيضا؟ ألم يؤمن بعضهم بالإسلام على يد رسولنا الكريم ؟ ألا يستحقون الذكر هنا؟ أو على الأقل الإشارة إليهم؟

11-الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ(الحج:40)

ألا يوجد للجن الشبحي بعضهم بعضا؟ لقد سمعنا من بعض العلماء عن معارك بين الجن الشبحي الكافر والجن الشبحي المؤمن؟ أم تراها أيضا لا تستحق الذكر؟ أو أن هناك تحيزًا لعالم الناس؟

12- أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ(27)وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ(فاطر:28)

ألا يوجد جن مختلف ألوانه كذلك؟ أم تراه -دائمًا- لا يستحق الذكر؟ أم أنهم متشابهون لونًا وحجمًا؟ أم أنه لا لون لهم؟

13-قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ(البقرة:94)

الخطاب موجه هنا لليهود الذين ظنوا أن الجنة حكر عليهم، وأنه لن يدخلها غيرهم، فالآية تبطل زعمهم هذا طالبة منهم أن يتمنوا الموت ما دامت الجنة خاصة بهم، ولن يدخلها أحد من الناس غيرهم، وحيث إنهم لن يتمنوا الموت فليسوا بصادقين. أما وجه الاستدلال بهذه الآية فهو قوله من دون الناس؛ إذ لو كانت الجنة يدخلها الناس والجن الشبحي لقال تعالى: من دون الناس والأشباح، أو من دون المكلفين، أو خالصة من دون الناس والجن.

14-سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(البقرة:142)

هذه الآية تهاجم من انتقد تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة. ووصفتهم بالسفهاء، ولكنهم سفهاء من الناس. ألم ينتقد أحد من الجن الشبحي هذا التحويل في القبلة يا عباد الله؟! أم أن الله تعالى عذرهم و لم يصفهم بالسفهاء!!

15-وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ(البقرة: 144)

أليس الله رحيمًا بالجن الشبحي؟

15-إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ(البقرة: 162)

16-رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ(آل عمران:9)

ألن يجمع الله تعالى الجن الشبحي المكلف بالقرآن ليوم لا ريب فيه؟

17-إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللــه وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(آل عمران: 22)

أما من يقتل الذين يأمرون بالقسط من الجن الشبحي فلا عذاب لــهم!! أم أنــه لا يوجد من يأمر بالقسط من الجن الشبحي ؟!

الدليل الرابع: آيات القرآن المتعلقة بعالم الإنس والجان

من خلال تتبع الآيات القرآنية التي تحدثت عن الجن يتبيّن أن هذا العالَم صنف من الناس، أطلق عليه هذا الاسم لاستتاره، أو لتفوقه البــاهر في صنعته، فالإنس نقيض الجنّ في كتاب اللــه المجيد. والناس يقسمون إلى إنس وجن، بمعنى أن منــهم العوامّ ومنــهم القادة والمستكبرون. ولا وجود للأشباح في القرآن العظيم قطّ.

لقد وردت كلمة (الجنّ) في القرآن الكريم 22 مرة، وذلك في الآيات التالية:

1-وَجَعَلُوا للــه شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لــه بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَــه وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ(الأنعام:100)

2-وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَــا يَفْتَرُونَ(الأنعام:112)

3-وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلا مَا شَاءَ اللــه إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ(الأنعام:128)

4-يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتــهمُ الْحَيَــاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنــهمْ كَانُوا كَافِرِينَ(الأنعام:130)

5-قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَــها حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًــا قَالَــتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتــهمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ(الأعراف:39)

6-وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لــهمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بــها وَلــهمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بــها وَلــهمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بــها أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ(الأعراف:179)

7-قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِــه وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا(الإسراء:88)

8-وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبــه أَفَتَتَّخِذُونَــه وَذُرِّيَّتَــه أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُــمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا(الكهف:50)

9-وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ(النمل:17)

10-قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بــه قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ(النمل:39)

11-وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لــه عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبــه وَمَنْ يَزِغْ مِنــــهمْ عَــنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ(سبأ:12)

12-فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلــهمْ عَلَى مَوْتــه إِلا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتــه فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ(سبأ:14)

13-قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونــهمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بــهمْ مُؤْمِنُونَ(سبأ:41)

14-وَقَيَّضْنَا لــهمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لــهمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلــهمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنــــهمْ كَانُوا خَاسِرِينَ(فصلت:25)

15-وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلاّنَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ نَجْعَلــهمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ(فصلت:29)

16-أُوْلَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلــهمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنــهمْ كَانُوا خَاسِرِينَ(الأحقاف:18)

17-وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ(الأحقاف:29)

18-وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ(الذاريات:56)

19-يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ(الرحمن:33)

20-قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنــه اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا(الجن:1)

21-وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الإِنْس وَالْجِنُّ عَلَى اللـــه كَذِبًا(الجن:5)
22-وَأَنـــه كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْس يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا(الجن:6)

الجان

وردت كلمة الجان 7 مرات. اقترنت بالإنس في 3 منـــها، وفي مرتين جاءت بمعنى أفعى، وفي مرتين اقترنت بالإنسان وخلقه.

1-وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَـــهتَـــز كَأَنَـــها جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَامُوسَى لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ(النمل: 10)
2-وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَـــهتَـــز كَأَنَـــها جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَامُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ(القصص:31)
3-وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ(الرحمن:15) سبقتـــها الآية (خلق الإنسان من صلصال كالفخار)(الرحمن: 14)
4-فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِـــه إِنسٌ وَلا جَانٌّ(الرحمن:39)
10 5-فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَـــهمْ وَلا جَانٌّ(الرحمن:56)
6-لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَـــهمْ وَلا جَانٌّ(الرحمن:74)
7-وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ(الحجر:27)سبقتـــها الآية (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (الحجر:26)

الجِنّة

وردت خمس مرات واقترنت في ثلاث منـــها بالناس، ذلك أن كلمة جِنَّة جمع الجنّ، وكلمة الناس جمع الإنس. ووردت في آية واحدة مـــرتين من دون اقترانـــها بالناس. والآيات هي:

1-إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ(هود:119)
2-وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ(السجدة:13)
3-وَجَعَلُوا بَيْنَـــه وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنـــهمْ لَمُحْضَرُونَ(الصافات: 159)
20 4-مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ(الناس:6)

النتيجة:

اجتمعت كلمتا الإنس والجنّ في آية واحدة 14 مرة، وذلك في السور التالية:

الأنعام : 112، 128، 130-الأعراف: 38،174-الإسراء: 88 النمل: 17-فصـــلت: 25،29الأحقـــاف:18 الـــذاريات:56-الرحمن:33-الجنّ: 5،6. وقد مرت الآيات سابقا.

كما اجتمعت كلمة الإنس والجان في القرآن الكريم ثلاث مرات في نفس الآية، وهي

الرحمن: 39،56،74

وفي مرتين اجتمعت كلمة الجان مع الإنسان في آيتين متجاورتين؛ وذلك في سورتي الحجر:27 والرحمن:15.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ(الحجر: 27-28)

30 خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ(الرحمن: 15-16)

وفي مرتين وردت كلمة الجان بمعنى الأفعى، وذلك في سورتي النمل: 10 والقصص:31

فتكون عدد مرات ورود كلمة الجان، مع الـــ التعريف أو من دونـــها 7مرات، ارتبطت بالإنس في 3 منـــها، وبالإنسان مرتين، وبمعنى أفعى مرتين.

أما كلمة الجِنّة فلم ترد إلا خمس مرات وذلك في السور التالية: هود:119 السجدة:13 الناس:6

وقد ارتبطت بكلمة الناس في هذه المرات الثلاثة. أما في سورة الصافات:158 فوردت في هذه الآية مرتين و لم ترتبط بالناس.

جِنّة

وردت كلمة جنّة خمس مرات، وكانت بمعنى جنون فيها جميعها. والآيات هي:

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلا نَذِيرٌ مُبِينٌ(الأعراف:184)

إِنْ هُوَ إِلا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ(المؤمنون:25)

أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ(المؤمنون:70)

أَفْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلالِ الْبَعِيدِ(سبأ:8)

قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ(سبأ:46)

10 ورد الفعل (جَنَّ) مرة واحدة وذلك في سورة الأنعام

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ(الأنعام:76)

الإنس والناس والفرق بينهما

وردت كلمة الناس مع لواصقها مثل (للناس، والناس، بالناس) في القرآن الكريمة 241 مرة، ووردت منفردة 182مرة، أما خطاب (يا أيها الناس) فقد ورد 20 مرة، وكانت في السور التالية: البقرة: 21، 168. النساء: 1، 170، 174. الأعراف: 158. يونس: 23، 57، 104، 108. الحج: 1، 5، 49، 53. النمل: 16. لقمان:33. فاطر: 3، 5، 15. الحجرات: 13. كما ورد خطاب (يا بني آدم) خمس مرات، بينما لم يرد أي خطاب للجنّ، فلا نرى في القرآن الكريم جملة (يا أيها الجنّ) قط، ولا جملة (يا بني الجنّ).

و لم تقترن كلمة الناس التي وردت 241 مرة بكلمة الجنّ في أي منها؛ إنما اقترنت ثلاث مرات بكلمة الجِنّة. مما يؤكد أنها الجن ليس نقيضا للناس، إنما هو نقيض للإنس.

20 أما كلمة الإنس فقد وردت 19 مرة بلواصقها، وقد اقترنت بكلمة الجن في 18 منها، أما الآية الوحيدة التي لم تقترن بالجنّ فهي قوله تعالى : فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا(مريم:26)

وهذا يؤكد أن الإنس نقيض للجنّ، وأن الناس تشملهما. أمّا آية مريم (فلن أكلم اليوم إنسيا): فإن الله يأمر مريم أن تقول إنها لن تكلم أي إنسي، ومن باب أولى أنها لن تكلم أي جنّي. ذلك أن الإنسان يتكلم في الإنس أكثر مما يتكلم مع الجنّ، فإذا أضرب عن التحدث مع الإنس، فمن باب أولى يكون قد حرم على نفسه التحدث مع الجنّ، والمعنى أنه إن لم يتكلم مع أقاربه ومعارفه من العوام، فلن يتكلم –من باب أولى– مع الكبراء.

لقد وردت كلمة (إنس) 3 مرات، ارتبطت فيها كلها مع الجنّ، والآيات في سورة الرحمن: 39، 74،59.

أمّا كلمة (الإنس) فوردت 6 مرات ارتبطت فيها كلها بالجنّ، والآيات هي : الأنعام: 128، 128، 112 الإسراء:88. الجنّ: 6،5

وقد وردت كلمة (والإنس) 9 مرات سبقها فيها جميعها كلمة الجنّ. والآيات هي : الأنعام: 130. الأعراف: 38، 179. النمل: 17، فصلت: 25، 28. الأحقاف: 18. الذاريات: 56. الرحمن: 33.

30 كلمة (الإنسان) وردت 65 مرة.

وسنذكر بعض الآيات التي احتوت كلمة (الإنسان) لنتفكر فيها:

إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنها وَحَمَلَها الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً (الأحزاب: 73)

خُلِقَ الإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ(الأنبياء:37)

لقد وردت كلمة الناس في سورة البقرة 28 مرة، وفي آل عمران 12 مرة. وفي النساء 15 مرة. وفي المائدة 7 مرات، فيكون المجموع 62 مرة. وهذا كله قبل أن ترد أول كلمة جنّ في القرآن في سورة الأنعام في الآية 100، وهي قوله تعالى : وَجَعَلُوا لِلهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ

وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لـــه بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَـــه وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ(الأنعام:100). فتفكروا في هذا وفي معنى الآية، وفيما إذا كانـــت تتحدث عن أشباح !! وفيما إذا كان هذا القرآن منـــزل إلى عالمَيْن منفصلين!

الاستنتاج:

لا يوجد ذكر للأشباح في القرآن الكريم، والذي فسر الجنّ بأنـــها أشباح لم يعتمد على آيات القرآن؛ إنما اعتمد على روايـــات مـــن هنـــا وهناك؛ لم يفهم معناها أو أنـــها لا تصح بداية. لقد وردت كلمة الناس 241 مرة وكلمة الإنسان 65 مرة بينما لم ترد كلمة الجنّ والجـــان أكثر من 30 مرة اقترنت في معظمها بالإنس. فهل هذا القرآن جاء لعالمَيْن مختلفيْن؟! هل هذا القرآن المعجز يخاطب عالمين بـــهذه النســـبة !! أم أنـــهما عالم واحد يختلفان في الطباع؟! تفكروا وتدبروا ولا تتعصبوا ولا تكونوا من الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانـــهم أربابـــا مـــن دون اللـــه. لا يجوز تقديم أقوال العلماء على هذه الحقائق القرآنية. إن العلماء اجتـــهدوا وأخطئوا فلـــهم أجر؛ أمّا أنتم فقد قلدتم من دون دليـــل فعليكم وزر. كفاكم تضليلا للعباد.. لا تخيفوا عوام الناس المساكين بـــهذه الأشباح التي توهمتم وجودها، واعتقدتم بضررها وبنفعها..آمنـــوا باللـــه وحده، واكفروا بما عُبد من دونـــه.. لا يملك ناصيتكم إلا اللـــه.. لا أشباح تراقبكم وتخيفكم..ولا يعلم من في الســـماوات والأرض الغيب إلا اللـــه... والحمد للـــه الذي هدانا لـــهذا.

تفسير معاني الجان الواردة في آي القرآن وتبيان أن لا وجود للأشباح فيه

بعد أن سردنا الآيات التي تحدثت عن الجنّ كلـــها؛ وبينا اقتران الجنّ بالإنس، وليس بالناس، ينبغي أن نتناول كل آية على انفراد.

الآية الأولى: وَجَعَلُوا لِلـــه شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لـــه بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَـــه وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ(الأنعام:100)

توجه هذه الآية اللَّوم لأولئك الذين اعتقدوا وجود مخلوقات قادرة على أن تضرهم وتنفعهم؛ وظنوا أنـــها تسكن الأماكن النائية والمظلمـــة، والجبال والصحاري. فأشركوها في العبادة مع اللـــه، وليس لـــها وجود إلا في خيالاتـــهم المرتعبة. إنـــها جريمة كبيرة أن تعتقد وجود إلـــه مع اللـــه، ولا دليل لك على ذلك سوى الأوهام.

أفيمكن اعتبار الآية تتحدث عن أشباح وتدعو إلى الإيمان بـــها، أم أنـــها تنكر على من يعبد آلـــهة متوهمة لا دليل على وجودها، بل كـــل الأدلة تؤكد وجود خالق واحد، وهو المعبود الأوحد.؟

الآية الثانية: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّـــكَ مَـــا فَعَلُـــوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ(الأنعام:112)

كلما يبعث اللـــه رسولا فإن قادة القوم المستكبرين يتصدون لدعوتـــه ويحاربونـــها، كما يوحون إلى العوام (الرعية) أن يرفضوا هذا الـــنبي. كما أن كثيرا من العوام يحاولون إرضاء القادة من أجل متاع الدنيا الزائل، فيتفق الطرفان وينسقان معا لمحاربة الدعوة الجديدة.

وإذا فرضنا أن الجنّ أشباح فكيف يوحي الإنس لـــهذه الأشباح؟ وفي هذه الآية ردّ قوي على من يعتقد بوجود الجنّ الشبحي وينكر التلبس، ويدّعي أن لا علاقة البتة بين الناس والجنّ الشبحي، مثل الشيخ محمد الغزالي والأستاذ حسّان عبد المنّان. وكنت قد اســـتدللت بهـــذه الآيـــة وغيرها- على أن هناك إيحاء متبادل وتنسيق مستمر بين الإنس والجنّ، وليسوا عالَميْن منفصلين- في حوار مع الأستاذ حسّان الذي لم يستطع أن يجيب إجابة شافية. ولا يصفو للذين يعارضون الشيخ الغزالي أو الأستاذ عبد المنّان في التلبس أن يستدلوا بهذه الآية، لأن الآية تتحدث عن إيحاء مُلاحظ، وليس إيحاءً مع قسم قليل من الناس؛ هم المشعوذون، ومحضرو الأرواح.. وإني أتحدى من يدّعي القدرة على ذلك أن يثبت ذلك على الملأ، وسأقوم بتفنيد دعواه.

وخلاصة القول في هذه الآية أنها رد على من يؤمن بالجنّ الشبحي، سواء أكان ممن يؤمن بالتلبس أم كان من النافين له.

الآية الثالثة :وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَـــا أَجَلَنَـــا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلا مَا شَاءَ اللـــه إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ(الأنعام:128)

هذه الآية لا تختلف عن سابقتـــها، فالقادة يستكثرون من العوام أولياء لـــهم، والعوام يحصلون على بعض المغريات من القادة مقابل محاربـــة الحق، فكلا الفريقين خاسر.

ولا وجود للأشباح هنا قط؛ وإلا فكيف تستمتع الأشباح بالناس؟ وكيف تستمتع الناس بـــها؟ وكيف تستكثر الأشباح من الناس؟

وهذه الآية ردٌّ على من يؤمن بالجنّ الشبحي؛ سواء أكان ممن يؤمن بتلبسه بالناس، أم كان من نفاة التلبس.

الآية الرابعة: -يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَـهِدْنَا عَلَـى أَنفُسِـنَا وَغَرَّتْــهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنــهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ(الأنعام:130)

أمّا هذه الآية فهي تؤكد عدم وجود أشباح؛ لأنــها تقول إن الرسول من جنس المرسل إليهم، وحيث إن محمدًا صلى الله عليه وسلم رسول إلى الجنّ والإنس باتفاق، فهو من جنسهم وهم من جنسه. أي أن الجنّ بشر مثلنا، أطلق عليه هذا الاسم لاستتارهم عنا. والآية تخاطب النـاس جميعًا؛ عامتهم وقادتهم..

الآية الخامسة: قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَــها حَتَّــى إِذَا ادَّارَكُــوا فِيهَــا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتــهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ(الأعراف:39)

العذاب ليس مقصورا على الرعية، بل إن القادة الذين أضلوا العوام سيدخلون النار أولا. وإذا تذكرنا قول اللــه تعالى (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُــوا وَلَــنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ(البقرة:24) وربطنا بين الآيتين عرفنا أن الإنس والجنّ هما صنفان من الناس، والمقصود بــهما العوام والقادة. لذا فإن الآية دليل على نفي وجود الأشباح وليس دليلا على وجودها.

الآية السادسة: -وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لــهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بــها وَلــهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بـــها وَلـــهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بــها أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُون(الأعراف:179)

هذه الآية تشترك مع الآية الخامسة في توضيح أن الجنّ والإنس من الناس؛ وتــزيد عليها دليلاً وهو وصف الإنس والجنّ بــنفس المواصــفات العضوية؛ فكلاهما لــه قلب، وعين، وأذن.

الآية السابعة: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِــه وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (الإسراء:88)

هذه الآية تتحدى القادة والرعية أن يأتوا بمثل هذا القرآن؛ ولن يستطيعوا، حتى لو تعاونوا جميعا. ويُفهم من هذه الآية عــدم وجــود الجــنّ الشبحي، لأنه لو قُصد تحدي الناس والأشباح معًا، ما كان هذا تحديًا قويًا. ذلك أنّه ليس ثمّة علاقة بين الناس والأشباح عنــد مــن لا يــؤمن بالتلبس، وهنالك علاقة بسيطة بين قلة قليلة جدًا من الناس وبين الجنّ الشبحي عند من يؤمن بالتلبس.ولو حصل هذا التحدي للناس والأشباح لكان تحديًا للناس وحدهم، ولا تعود ثمة قيمة لإدخال الجن في التحدي[1]. ثم إن من لا يؤمن بالتلبس يقول: "إن القرآن خاص بالناس ولا يلزم الجنّ الشبحي الإيمان به". ولا شك أن هذه الآية ترد هذا الفهم، إذ لو كان كذلك ما تحدت الآية الجنّ، ولو كانت علاقتهم بسيطة ما تحدهم مجتمعين، فهذا يؤكد أن العلاقة قوية بين الجنّ والإنس، أي بين القادة والرعية.

الآية الثامنة: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّــه أَفَتَتَّخِذُونَــه وَذُرِّيَّتَــه أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِــي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً(الكهف:50)

إبليس كان من الجنّ، ولم يكن أبا الجنّ كما يقول عشاق الأساطير. ولا أراني مضطرا في هذه العجالة أن أوضح قصة آدم وإبلــيس؛ ولكــن أقول هنا إن إبليس وآدم لم يكونا في جنّة اللــه؛ بل كانا في جنّة أرضية[2]؛ وقد أطلق لفظ الجنّة في القرآن الكريم على البستان الوارف الظلال، والذي تجري فيه المياه: (كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا) (الكهف: 34) (وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ)(الكهــف: 36) (إِنَّــا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ) (القلم: 28). ومما يؤكد هذا

[1] لتوضيح المقصود ينبغي أن نضرب مثالاً: لو قلت لعالم رياضيات أتحدّاك وجميع علماء التاريخ أن تحلّوا هذه المعادلة، لكان هذا التحدّي مقصــورًا علــى عــالم الرياضيات وحده، ولا يفيد إدخال علماء التاريخ، لأنه لا علم لهم بالموضوع، وإذا انتصر المتحدّي لا يُقال: إنه انتصر على عالم الرياضيات وعلى علمــاء التــاريخ مجتمعين، بل انتصر على عالم الرياضيات وحده. ولا يشك عاقل في أن تحدّيه لا قيمة له، وأن إضافة علماء التاريخ من لغو الكلام. فكيف بكتاب الله المجيد أن يُظَنَّ به مثل ذلك، وكيف يتحدّى عالَمين منفصلين لا علاقة بينهما، ولا يمكن أن تقوم بينهما مشاورات وتخطيط مشترك؟!

[2] تحت عنوان (أين توجد الجنة) قال عبد الوهاب النجار: "وقال فريق من العلماء: إن الجنة التي سكنها آدم وحواء كانت من جنات الدنيا، لأنه كلف فيها ألا يأكل من الشجرة، ولأنه نام فيها وأخرج منها ودخل عليه إبليس فيها ووسوس إليه ولغا آدم وعصا ربه فيها، وهذا ينافي أنها جنة المأوى" وتابع قائلاً: "وقد حكيَ هــذا القول عن أبي بن كعب وعبد الله بن عباس ووهب بن منبه وسفيان بن عيينة، واختاره القاضي منذر بن سعيد البلوطي قاضي الجماعة في تفسيره، وأفرد له مؤلّفًا على حدة، وحكاه عن أبي حنيفة الإمام وأصحابه رضي الله عنهم، ونقله أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي ابن خطيب الري في تفسيره عن أبي قاسم البلخي وأبي مســلم الأصبهاني، ونقله القرطبي في تفسيره عن المعتزلة والقدرية. وقد حكى الخلاف في هذه المسألة أبو محمد بن حزم في الملل والنحل وغيره" انظر: النجار، عبد الوهاب، قصص الأنبياء، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، ص9

1-قولـــه تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (البقرة: 31)، و لم يقل إني جاعل في الســماء خليفــة، أو في الجنّــة خليفة.

2-أن إبليس اللعين يحرم عليه دخول الجنّة؛ لأنـــه كافر، والجنّة للمسلمين فقط.

3-لا تعلم نفس ما أخفي لأهل الجنّة من قرة أعين، ففيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، كما في الحديث الشريف. ولو كان دخلـــها آدم لرآها بعينيه بوضوح، ولعلم ما أخفي فيها.

4-إن جنة اللــه (لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ) (الطور: 24) بينما حرض الشيطان آدم على المعصية في هذه الجنة.

5-إن أصحاب الجنة (لا يَمَسُّهُمْ فيها نَصَبٌ وَما هُمْ مِنْـــها بِمُخْرَجِينَ)(الحجر: 29) لكن آدم أُخرج من هذه الجنة.

6-قال تعالى في وصف الجنة (نَتَبَوَّأُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ)(الطور: 75)، ولكن آدم منع من الاقتراب من شجرة، بمعنى أنـــه لم يتبوأ من الجنة حيث شاء.

ولو تتبعت أوصاف الجنة من خلال آيات القرآن العظيم لوجدت تناقضات عديدة بين جنة اللـــه، والجنة التي دخلـــها آدم، مما يؤكد أنـــــه منطقة خصبة كثيرة الأشجار على وجه الكرة الأرضية. وأن آدم أُمر بالـــهجرة منـــها، لما نسي أمر اللـــه تعالى.

أما كلمة (اهبطوا) فلـــها أكثر من معنى؛ قال تعالى (اهْبِطوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ ما سَأَلْتُمْ)(البقرة: 62)، بمعنى انـــزلوا مصرا، أو اذهبوا إلى مصر.

على أي حال فإن إبليس كان من الجن؛ فكان قائدا في قومه مستكبرًا، و لم يقبل أن يطيع آدم. والمعركة مستمرة بين أي نبي وأتباعه من جهة، وبين إبليس وأتباعه من جهة أخرى، فلكل نبي يتصدى أبالسة.

وقد يظن البعض أن آدم النبي هو أول البشر. إن هذا الظن لا أصل لــه، بل آدم هو أول نبي أرسلـــه اللـــه إلى البشر.

ومما يؤكد هذا:

1-قوله تعالى(وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا)(الأعراف: 12)

هذه الآية تبين بوضوح أن خلق الناس سابق لخلق آدم الذي أمر الملائكة بالسجود له بعد تكليفه بحمل بالرسالة. والحرف (ثم) يفيد التعقيـــب والتراخي، أي أن هناك فترة بين خلق الناس وأمر الملائكة بالسجود لآدم.

2-قوله تعالى (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً). فكلمة (خليفة) تعني أن له أسلافًا قد خلفهم.

3-قولـــه تعالى (قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) (الأعراف: 25)فالحديث لمجموعة من الناس، وليس لشخصين أو ثلاثة.

4-قول الملائكة (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ)(البقرة: 31) يؤكد أن الملائكة لم يقولوا ذلك إلا لرؤيتهم من تقدموا آدم مـــن الخلق الذين على صورته فعلوا ذلك الفساد والجرائم، وإنما آدم كان خليفة عن بشر كانوا من جنسه.

5-معلوم أن آدم نبي من أنبياء الله، ولو فرضنا أنه أول البشر لكان مرسلا إلى نفسه. وهذا عبث لا يليق بالله عزّ وجلّ.

6- إن عمر البشرية مئات الآلاف من السنين؛ بينما عمر آدم النبي لا يتجاوز عدد أصابع اليدين من آلاف السنين[1].

7-بيَّن القرآن الكريم أن الإنسان لم يولد دفعة واحدة، بل نشأ في أطوار ومراحل.. قال تعالى (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا)(نوح: 15) وقال تعـــالى (وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنْ الْأَرْضِ نَبَاتًا)(نوح: 18) بينما نرى التوراة تقول بأن الإنسان خلق دفعة واحدة، وهذا باطل بنص القرآن، والأبحاث العلمية الأكيدة.

---

[1] قال سعيد حوّى:"ومع اعتراضنا على أسفار اليهود في ذكر عمر الإنسان، فإننا نعترض على التطوريين الذين يجعلون إنساننا الحالي وليد تطور عن أنواع من الإنسان أخرى، ونحن إذ ننكر هذا لا نعترض على وجود مخلوقات شبه إنسانية سبقت أبانا آدم، فليس في نصوص الإسلام ما يمنع، بل في كلام بعض الإسلاميين ما يؤيده. فلقد نقل صاحب السيرة الحلبية من ذلك عن بعض المتصوفة : إن آدمنا سبق بآباء كثر بأنواع من الإنسان. والمنقول عن بعض أئمة الشيعة أنهم يقولون بمثل ذلـــك. ولكن المسلمين مجمعون –إلا من لا يُعتد بقوله– على أن أبانا آدم خلق خلقا مباشرا من الله."(حوى، سعيد، الأساس في السنة وتفسيرها، ج2ص579).

وقال تعليقا على الآية (أتجعل فيها من يفسد فيها) : "هذا يوحي أنهم شاهدوا إفسادا في الأرض وسفك دماء من قبل، وقد يكون هذا هو التفسير لرؤية نماذج قديمة لأنواع من الإنسان غير إنساننا الحالي" انظر: المرجع السابق، ص 570

قلت: أدلة سعيد حوى على أن هناك إنسانا قبل آدم صحيحة، بيد أنه نقضها معتبرًا أن القرآن ينص أن آدم أول مخلوق من جنسنا الحالي. وهذا لا دليل عليه سوى آيات توراتية محرفة، وأحاديث ضعيفة، وتفسيرًا خاطئا لآيات قرآنية.

إن القول بتطور الإنسان لا يعني صحة نظرية دارون؛ بل هي نظرية ثبت خطؤها. حيث إن الإنسان لم يتطور عن الحيوانات. ولا يعــني هــذا أنّــه نــزل من السماء، بل إن اللــه خلق الإنسان أطوارًا، وأنبتــه من الأرض نباتا. والإنسان يتطور، لكن تطوره ذاتي، وليس عن كائنات أخرى. واللــه قد خلقه منفصلا وكرمه وفضلــه على مخلوقاتــه الأخرى، وخلقه في أحسن تقويم.

أي أن الله تعالى خلق خلية عاشت على هذه الأرض وأخذت تتطور إلى أن وصلت إلى هذا الكائن الإنساني من دون المرور بمراحل حيوانيــة، إنما مرّت بمراحل الإنسان البدائي.

الآية التاسعة: وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ(النمل: 17)

لقد أثبتنا فيما مضى معنى الطير هنا، وأثبتنا أن الــهدهد رجل. أمّا الجن هنا فهم الغرباء الذين جاءوا من مدينة صور لبناء المحاريب والتماثيــل والجفان والقدور التي طلب سليمان بناءها؛ وقد اعتاد الناس أن يسموا الغريب جنًا، كما اعتادوا أن يسموا الصانع الماهر في صناعتــه جنًا.

لقد ذكر اللــه تعالى ما كان يقوم بــه جن سليمان فقال (وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِــهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنــهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْــهُ مِــنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَــهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ)(سبأ:13-14)

وفي موضع آخر سماهم شياطين فقال تعالى (وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ)(ص:38-39)

أفتبني الشياطين الشبحية بيوتًا؟ أم تراها تغوص في البحر ؟ أم ترى بعضها مقيدًا بالسلاسل؟ أهذا صحيح أم أن هؤلاء بشر مثلنا؟!

إن سليمان عليه السلام كان نبيًا وكان ملكًا، ولم يكن يتعامل مع الأشباح؛ لأنــها غير موجودة. ولقد لخص القرآن العظيم قصتــه بــأروع أسلوب، في حين أسهبت التوراة في سرد قصة لا طائل منــها تصف تفاصيل الأبنية وطولــها وعرضها ونوع الخشب المستعمل وعدد العمال وعدد المسئولين عن العمل.

اعتاد الناس أن يبالغوا في أي خبر يسمعونــه؛ وأن يضيفوا عليه ما ليس منــه. أمّا أن يحذفوا أهم جزء منــه؛ وبخاصة إذا كان هــذا الجــزء يمجدهم، فهذا ما لا يُعقل أبدًا. ومن هنا يستغرب المرء أن يكون اليهود قد أغفلوا حديث سليمان مع الحشرات والعصافير، وغفلوا عن ذكــر سيطرتــه على الأشباح، وغفلوا عن ذكر إحضار عرش عظيم من بلاد تبعد عنــهم آلاف الكيلومترات.

الآية العاشرة: قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِــهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ(النمل:39)

العفريت هو النافذ في الأمر. وهو لفظ مستعمل في حديثنا اليومي، فنقول للمبدع في أمر إنــه عفريت. وقد سبق أن أشرنا إلى أن هذا العفريت قد يكون مهندسا كبيرًا، أو قد يكون وزير الصناعة.. ولكنــه ليس شبحًا بالتأكيد.

الآية الحادية عشرة: وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَــهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِــهِ وَمَنْ يَــزِغْ مِنــهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ(سبأ: 12-13)

سبق الحديث عنــها.

الآية الثانية عشرة: فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَــهُمْ عَلَى مَوْتِــهِ إِلا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَــهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُــونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ(سبأ:14)

مع أننا قد وضحنا من هم جن سليمان؛ إلا أنــه لا بد من التطرق إلى هذه الآية التي فُسرت تفسيرًا يندى لــه الجبين خجلاً. لقد قــالوا: إن سليمان مات وظل متكئًا على عصاه، ولم تشعر الجن بموتــه، إلا بعد أن نخرت السوسة عصاه فوقع على الأرض، وقد استغرقت الدودة سنة، على أقل تقدير، في هذا العمل؛ أي أن سليمان عليه السلام مكث ميتا سنة كاملة من دون أن يعرف بموتــه إنس ولا جان.

أيعقل هذا يا أولي الألباب؟ أليس لــه زوجة تسأل عنــه، وعن تحضير غدائه؟ أوليس عنده مستشارون يجتمع بــهم أسبوعيًا على أقل تقدير؟ ألا يصلي بالناس الأوقات كلــها؟ ألا يستفتيه الناس؟ ألا يتحاكمون إليه عند الخلاف؟ألا يدعو إلى اللــه؟ ألا يستقبل الوفــود الداخلــة في دينــه؟ ألــهذا الحد لا أهمية لــه بحيث يغيب سنة من دون أن يسأل بــه أحد يا عباد اللــه؟؟

هل غاب أحدنا عن بيتــه يومًا واحدًا من دون معرفة أهلــه؛ ثم لم تقم ضجة كبيرة على هذا التأخر الطويل؟؟

هل افتقد قوم رئيسهم يومًا واحدًا؟ بل هل فقد قوم نبيهم ساعة واحدة؟ وهل ومائة هل...

ما كان ينبغي أن يخطر هذا التفسير على قلب أحد!!

هناك كلمات في الآية لــها أكثر من معنى، وقد اختاروا المعنى المستحيل والذي لا يتفق مع السياق.

موتـــه قد يعني موت مملكتـــه، وهذا مجاز مرسل، كما في قولـــه تعالى (واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها) والمقصـــود اســـأل أهل القرية، وأهل العير. ذكر المحل وأراد من فيه.

دابة الأرض : الدابة تعني كل ما يدب على الأرض؛ من إنسان أو حيوان. الأرض : قد تكون الكرة الأرضية، وقد تكـــون وصـــفا لأخـــلاق إنسان بأنـــها أرضية منحطة؛ كما في قولـــه تعالى (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ منـــها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَـــوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بـــها وَلَكنـــه أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلـــه كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلـــهثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلـــهثْ ذَلِكَ مَثَـــلُ الْقَـــوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلـــهمْ يَتَفَكَّرُونَ. (الأعراف: 176-177)

فما معنى أخلد إلى الأرض؟ أتعني حفر الأرض ودخل فيها؟ أم أنـــها تتحدث عن أخلاق هذا الشخص الأرضية؟

منسأتـــه: قد تعني العصا المعروفة وقد تعني عصا الملك، كما هو معروف من معانيها.

خرّ: قد تعني سقط، وقد تعني ضعف، وقد تعني سقط ملكه.

10 وبالربط بين المعاني نقول : إن الآية تصف مرحلة حكم يربعام بن سليمان عليه السلام التي أضعفت مملكة أبيه، ومن ثم أنـــهتـــها. و لم يكن الجن يعرفون أن هذا الرجل ضعيف لـــهذا الحد، أو أنـــه لا أخلاقي، فلما عرفوا ذلك ذهبوا وتركوا العمل الشاق الذي كانوا يقومون بـــه. وهذه الآية كسابقاتـــها لا تتحدث عن أي أشباح قط.

الآية الثالثة عشرة: قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونـــهمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بـــهمْ مُؤْمِنُونَ(سبأ:41)

الآية التي سبقت هذه الآية هي قولـــه تعالى (ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون. قالوا سبحانك..

فترد الملائكة: بل كانوا يعبدون آلـــهة توهموا وجودها، وتوهموا أنـــها تضر وتنفع من دون اللـــــه، واعتقـــدوا أنـــــها تســـكن الجبـــال والصحاري، فكانوا يخافون من المسير في هذه المناطق التي ظنوا أن الجن يعيش فيها. فلا وجود للأشباح هنا قط.

الآية الرابعة عشرة: وَقَيَّضْنَا لـــهمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لـــهمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلـــهمْ مِـــنَ الْجِـــنِّ وَالإِنْسِ إِنـــهمْ كَانُوا خَاسِرِينَ(فصلت:25)

الأمم الخالية فيها رعية وقادة خسروا الآخرة لعدم استجابتـــهم لأنبيائهم.

20 الآية الخامسة عشرة: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلانَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ نَجْعَلـــهمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ(فصلت:29)

العوام والقادة يشتركون في التضليل، حيث يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا.

الآية السادسة عشرة: أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلـــهمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنـــهمْ كَانُوا خَاسِرِينَ(الأحقاف:18)

لا تختلف عن الآية الرابعة عشرة.

الآية السابعة عشرة: وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَـــرُوهُ قَـــالُوا أَنْصِـــتُوا فَلَمَّـــا قُضِـــيَ وَلَّـــوْا إِلَـــى قَـــوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ(الأحقاف:19)

من المعروف من خلال الأحاديث النبوية أن هؤلاء نفر من اليهود حضروا إلى مكة، وقابلوا رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم خارجها؛ حيث ذهب يستقبلـــهم مع عبد اللـــه بن مسعود. ولو كانوا أشباحا ما ذهب ليستقبلـــهم، بل كان بإمكانـــهم أن يحضروا مـــن دون أن يـــراهم أحد. لقد عرف هؤلاء اليهود عداوة قريش لرسول اللـــه صلى الله عليه وسلم وتكذيبـــهم إياه، فخافوا لو حضروا مجتمعين أن يهاجموا مـــن قريش، فأرسلوا إلى رسول اللـــه حتى يلتقي بـــهم خارج مكة، وهذا ما كان. وحيث إنـــهم جاءوا خفية؛ و لم يرهم أحد؛ سمـــاهم اللـــــه

30 جنًا. وقد فصّلنا قصتهم في موضع آخر.

الآية الثامنة عشرة: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ(الذاريات:56)

تقتصر العبادة عند بعض الديانات على الرعية. لقد وضح اللـــه هنا أن البشرية سواء أمام التكاليف، فلا فرق بين صغير ولا كبير، ولا فـــرق بين سيد وعبد، ولا بين أنثى وذكر.

الآية التاسعة عشرة: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ(الرحمن:33)

هذه الآية قطعية في دلالتـــها على أن الجن من جنس البشر؛ فمن المعلوم لدى المؤمنين بالجن الشبحي أنـــه قادر على أن يخترق أجواء الأرض، وأن يصل إلى السماء، وأنـــه يستمع إلى الملأ الأعلى. ولكن الآية تنفي هذا الزعم، فالجن والإنس سيّان في عجزهم عن ذلك، ولن يتمكن أي منـــهم من النفاذ من أقطار السماوات والأرض إلا بسلطان. وقد نفذوا بسلطان بعد أربعة عشر قرنًا من نـــزول الآية التي تنبأت ذلك.

والمعنى أن اللـــه يتحدى العوام والقادة، الرعية والحكام. . لن تستطيعوا...

الآية العشرون: قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّــه اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا(الجن:2)

هذه الآية تشبـــه الآية السابعة عشرة، ولكنـــها تتحدث عن جن آخر؛ وهم جن نصارى جاءوا مستترين والتقوا برسول اللـــه خارج مكة؛ كما فعل الجن اليهود.

الآية الحادية والعشرون: وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الإِنْس وَالْجِنُّ عَلَى اللـــه كَذِبًا(الجن:5)

لقد ظن هؤلاء النصارى الذين جاءوا خفية وأسلموا أن الناس لن يتقولوا على اللـــه.

الآية الثانية والعشرون: وَأَنَّــه كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا(الجن:6)

كان رجال من العوام يلتجئون إلى كبار القوم من القادة فيضلوهم. وعلى الإنسان أن يلجأ إلى اللـــه، ولا يؤجر عقلـــه للكبراء.

10 **الدليل الخامس: حصر التكليف بالإنسان**

إن التكليف محصور ببني آدم (الإنسان)، و لم يكلف اللـــه على وجه هذه الأرض غير الإنسان، حيث قال تعالى (إِنَّا عَرَضْـنَا الْأَمَانَـةَ عَلَـى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ) (الأحزاب: 73) كما ذكر اللـــه تعالى أن الجنّ والإنس خُلقوا للعبادة (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)(الذاريات: 57). فهذا يعني أن الجنّ والإنس هما من جنس الإنسان ونوعه.

الدليل السادس: الأنبياء جميعًا من بني آدم

لم يرسل اللـــه أي رسول من الجنّ الشبحي، بل كان جميع الرسل من الناس، أو من الملائكة. ومهمة الرسول مـــن الملائكـــة أن يـــوحي إلى الرسول البشري، والأخير بدوره يبلغ الناس رسالة اللـــه. والدليل على هذا: أن الأنبياء عبر التاريخ كانوا يُرسلون إلى قومهم خاصة، والـــنبي الوحيد الذي أرسل إلى الناس كافة هو خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم. وحيث إن الله تعالى لا يعذب أحدًا لم يبعث له رسولا لقولـــه تعالى (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا(الإسراء: 16) صرنا بين احتماليْن: إما أن نقول إن الجنّ عالَم غير مكلف وليس مطالبًـــا بالإيمـــان، ولن يُعذّب، وإما أنه جزء من البشر ومكلف ومطالَب بالإيمان، وحيث إن الاحتمال الأول يصطدم بآيات عديدة بيَّنت أن الجنّ خُلق للعبادة،

20 لم يبق إلا الاحتمال الثاني. والدليل الثاني: قولـــه تعالى (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنْ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنْ النَّاسِ) (الحج: 76). و لم يقل من الملائكة ومـــن الناس ومن الجنّ.

الدليل السابع: الرسول من جنس المرسَل إليهم

إن اللـــه تعالى يرسل الرسول من جنس المرسل إليهم، حيث قال تعالى (قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَـا عَلَـيْهِمْ مِـنْ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا(الإسراء: 96). والمعنى أنه ما دام ساكنو الأرض بشرًا فإن الله تعالى يرسل إليهم بشرًا، ولن يرسل إليهم ملائكة. كما بيَّن اللـــه تعالى أن جميع المرسلين قبل محمد صلى الله عليه وسلم كانوا من البشر، و لم يكن أحد منـــهم من كائنات أخرى؛ حيث قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ) (الأنبياء: 8)، (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ) (يوسف: 110، النحل: 44) وقال تعـــالى (يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِـــنَا) (الأنعـــام: 131) (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا) (الزمر: 72)، (يَابَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُـــلٌ مِنْكُمْ) (الأعراف: 36)، فالمرسلون من الجنّ والإنس حسب الآية الأخيرة، وهم رجال من الناس حسب الآية التي سبقتـــها، لـــذا فـــالجنّ

30 والإنس هم أُناس، وحيث إن رسول اللـــهεمرسل إلى الجنّ والإنس، كما هو معلوم، فيكون الجنّ من جنس رسول اللـــه، ويكون رســـول اللـــه صلى الله عليه وسلم من جنسهم. وحيث إن الجنّ مكلفون، و لم يرسل إليهم إلا رجال عبر التاريخ، والرجال المرسلون هم من جـــنس الجنّ الذين أرسلوا إليهم، لذا فإن الجنّ من جنس البشر، وليسوا عالما آخر.

الدليل الثامن: الناس وقود النار، والإنس والجن وقودها

ذكر اللـــه تعالى أن وقود النار هم الناس، كما في قوله تعالى (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ)(التحريم: 7)، وكما في قوله تعالى (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة). ثم ذكر في آيات أخرى أن الجنّ والإنس هم وقودها فقال تعـــالى (قَـــالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ)(الأعراف: 39) فيكون الإنس والجنّ من الناس، وليْسا عالَميْن منفصليْن.

الدليل التاسع: أين أحكام العالَم الآخر في القرآن الكريم؟

إن الإسلام هو دين الإنس والجنّ، ولكن القرآن لا يحوي حكمًا يخص عالَمًا غير عالم البشر، فهناك أحكام الطهارة، والصلاة، وزكاة الغنم والزرع والذهب، وهناك أحكام الحيض والنفاس، وأحكام القصاص والحدود، والأحوال الشخصية، وغير ذلك كثير.. ؛ ولا يظن أحد أن الأشباح عندها أغنام لتدفع زكاتها، أو أن أنثى الجنّ تحيض، وعليها أن تغتسل بالماء. ثم كيف ستقطع يد الجنّ السارق؟ ومن أين ؟وما هو الحد الأدنى للمال الذي يُقطع فيه؟

فهل المطلوب من الجنّ أن يصدقوا بالله ورسوله فقط؟ أليسوا مطالبين باتباع شريعة؟ لمن يتحاكمون عند الخصومة؟ هل جاء جنيان يحتكمان إلى رسول الله ليحل خصومة بينهم؟ أم أن الدين عندهم مقصور على القلب؟! مع العلم أن الإيمان ما وقر في القلب وصدقته الجوارح. ولم يرد في القرآن أي طريقة تصدق فيها جوارحُ الأشباح قلوبَها.

الدليل العاشر: الحساب للناس فقط

لم يذكر القرآن الكريم أي نصٍّ يفيد أن الحساب سيشمل الجن الشبحي، أو أن الله سيجمعهم مع البشر، بينما ورد كثير من النصوص تؤكد أن الناس سيجمعون يوم القيامة وسيحاسبون.

ومن هذه الآيات: قوله تعالى (اقترب للناس حسابهم)( )(ذلك يوم مجموع له الناس)( )(ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه)( )(وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب) ( )(وترى الناس سكارى)( )(وإذا حشر الناس..)( )..

الدليل الحادي عشر: نص القرآن أن العلاقة وثيقة بين الجن والإنس

يتضح من النصوص القرآنية المتعلقة بالجنّ أن ثمة علاقة وثيقة بين الجنّ والإنس، وليسوا عالَمين منفصلين بحال، بل إنهما معشر، ويوحي بعضهم إلى بعض، ويستكثر الإنس من الجنّ، ويستمتع بعضهم ببعض. وهذه العلاقات المتعددة تؤكد أنهما صنف واحد من البشر. قال تعالى (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنْسِ وَقَالَ أَولِيَاؤُهُمْ مِنَ الإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ) وقال تعالى (شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا)[1]، وهذه الآيات ردّ قوي على أصحاب القول الثاني، الذي يؤمن بالجن الشبحي وينكر التلبس. ويحاول أصحاب القول بالتلبس الاستدلال بها على ذلك، بيد أن هذا لا يصفو لهم، حيث إن العلاقة بين الجن والإنس –حسب فهمهم– مقصورة على بعض المشعوذين من الكفرة المتعاملين مع الجن، وهؤلاء قلة بحيث لا يمكن أن يقال عنهم إنهم معشر الإنس الذي يستكثر من الجن الشبحي، أو أنهم يستحقون أن يُقال فيهم إنهم يوحون إلى الجن الشبحي ويتلقون منه إيحاءات.

الدليل الثاني عشر: دين الإسلام هو دين الفطرة التي فطر الناس عليها

دين الإسلام هو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فهو لذلك ينسجم مع طبيعتهم وفطرتهم، ويلقى منهم القبول والاستجابة، قال تعالى (فطرة الله التي فطر الناس عليها). ولكن على أي فطرة فطر الجنّ، إذا كانوا عالَمًا آخر؟

الدليل الثالث عشر: حديث يبين أن الإنسان بدل من الجن والإنس

ورد في الحديث القدسي: "يا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ"[2]

يتضح أن كلمة إنسان هي بدل من الإنس والجنّ. لاحظ.. لو أن إنسكم وجنكم..سألوني..فأعطيت كل إنسان..

الدليل الرابع عشر: الآيات التي تحصر الحج والبيت الحرام بالناس.

نص القرآن في آيات كثيرة أن البيت والحج للناس حصرًا، والأدلة :

قوله تعالى (ولله على الناس حج البيت)، فهل لله على الجن الشبحي حج البيت؟ أليس الخطاب محصورًا بالناس في هذا النُسك الهام؟

قوله تعالى (والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس)، وما دام اجن الشبحي لا يشغل حيزًا ولا يزيد من ازدحام الحجيج والمعتمرين فلماذا لم يجعل الله تعالى المسجد الحرام لنا ولجنس الجن الشبحي؟

قوله تعالى (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس)

قوله تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة)

---

[1] للتفصيل في هذه الأدلة انظر: ادلبي، محمد منير، أبناء آدم من الجن والشياطين، دمشق: دار الأهالي، ط1، 1993م، ص63-84.

[2] صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، 4674

قوله تعالى (جعل اللـــه الكعبة البيت الحرام قياما للناس)

شبهات كثيرة تعترض القول الثالث

إن أصحاب القولين الأول والثاني يجدون كثيرًا من الاعتراضات على القول الثالث، فرغم الخلاف الكبير بينهما، بيد أنهما يتحدان في معارضة نفي الجن الشبحي، ذلك أنهما –على الأقل– متفقان في إثبات وجوده، وإن اختلفا في تفسيره وعلاقته بالناس.

ولدى أصحاب القول الأول –بالذات– شبهات كثيرة حول نفي الجن الشبحي، فهم يرون أن الجن الشبحي يسترق السمع، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم سحر عن طريق الجن، بل ويرون أن السحر ثبت في القرآن الكريم، ويعتقدون أن الجن الشبحي مخلوق من مادة النار، ويوردون قصة آدم وإبليس على أنها دليل على وجود الجن الشبحي، فإبليس هو أبو الجن حسب قولهم، ثم إن قصة سليمان مع الجن الشبحي تمثل دليلا قرآنيًا، وهناك قصة تشكل العفريت الذي تفلت على رسول الله ليقطع عليه صلاته، ولا ننسى قصة الجن الذين استمعوا القرآن، والرواية التي توجب على الإنسان أن يستحلف الأفعى إذا رآها في المنزل خوفًا من أن تكون جنًا مؤمنًا قد تشكل بها.. وغير ذلك، ولنبدأ بهذه الاعتراضات:

10 الاعتراض الأول: خلق الجان من نار

قالوا: لقد نص القرآن الكريم أن الجان خُلق من نار، بينما خُلق الإنسان من تراب أو من صلصال أو من ماء، وبالتالي لا يمكن أن يكون الجن إلا مخلوقًا مغايرًا في تركيبه للإنسان.

وقد استدلوا بقوله تعالى (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) وبقوله تعالى(وخلق الجان من مارج من نار)

مناقشة هذا الاعتراض

خلق اللـه كل ما يدب على الأرض من ماء، والجنّ من هذه المخلوقات، وجعل من الماء كل شيء حي، ومن ضمن الأشياء الجنّ. قال تعالى : (واللـه خلق كل دابة من ماء)(النور: 45) وقال تعالى (وجعلنا من الماء كل شيء حي)(الأنبياء: 30). ولأنـه لا تناقض في القرآن الكريم، كان لا بد من أن لا نستنتج من الآية (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) والآية(وخلق الجان من مارج من نار) ما ينافي ما تنصه الآيات السابقة من أن كل شيء خلق من ماء، وكل شيء جعل حيًا من الماء.

والخلق قد يكون خلقًا ماديًا أو خلقًا معنويًا، أي أنه يمكن أن يكون معنى الآية أن الجن خُلق من مادة النار، أو أن الجن خُلق بطبع ناريّ.

20 وحيث إن المعنى الأول يصادم نصين قرآنيين قلنا باستحالته، ثم إن هنالك آيات قرآنية تتحدث عن خلق الإنسان من ناحية معنوية وليست مادية، ونصها مشابه جدًا لنص الآيات التي تتحدث عن خلق الجن، ولا يختلف اثنان على أن المقصود بهما الخلق المعنوي، والآيتان هما: قوله تعالى (خلق الإنسان من عجل)، بمعنى (طبعه عجول)، وقوله تعالى (اللـه الذي خلقكم من ضعف) أي خلقكم ضعفاء.

إذًا يصبح معنى قوله تعالى(وخلق الجان من مارج من نار): طباع الجنّ نارية، فهو متمرد مستكبر، مغرور، لا يطيع أنبياء اللـه تعالى.

ومما يؤكد هذا أن اللـه تعالى ذكر مراحل خلق الإنسان مرات عديدة في كتابه الكريم، و لم يذكر مراحل خلق الجان بالمرة؛ رغم أنهما يشتركان في التكليف، وهذا يؤكد أن للجنين الجنّي والجنين الإنسي مراحل الخلق نفسها، ولكنهما يختلفان في الطباع حين يكبرون.

لكن ما معنى (من قبل) في قوله تعالى (والجان خلقناه من قبل من نار السموم)؟

معناه: أن الإنسان البدائي كان حادّ الطبع عنيفًا لا يعرف إلا القتل والمهاجمة، لا صبر لديه ولا تحمل، وسرعان ما يهيج، وقد تطور عبر السنين ليصبح قادرًا على تلقي الوحي الإلهي، فأرسل الله آدم أول نبي للبشر.

الاعتراض الثاني: ثبوت السحر

30 قالوا: لقد ثبت السحر من خلال القرآن الكريم، ومن خلال الأحاديث الصحيحة التي تبين أن رسولنا صلى الله عليه وسلم نفسه قد سحره أحد اليهود. وحيث إن المسبب للسحر هو الجن بتعاونه مع الكفرة من البشر، ثُبت وجود الجن بطريقة لا تحتمل جدالاً.

أما الدليل من القرآن الكريم فهو قوله تعالى (وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ)

فها هي الآية تبيِّن أن السحر يؤدي إلى أن يختصم زوجان ويتفرقا، وكيف يتم ذلك لولا وجود الجن الذي يؤثر على عقلي الزوجين بطريقته الخاصة؟

وأما الدليل من السنة، فهناك حديث صحيح يبيِّن أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد سحره يهودي. فقد روى البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِي اللَّه عَنْهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُحِرَ حَتَّى كَانَ يَرَى أَنَّهُ يَأْتِي النِّسَاءَ وَلَا يَأْتِيهِنَّ –قَالَ سُفْيَانُ وَهَذَا أَشَدُّ مَا يَكُونُ مِنَ

السِّحْرِ– إِذَا كَانَ كَذَا فَقَالَ يَا عَائِشَةُ أَعَلِمْتِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟ أَتَانِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلْآخَرِ: مَا بَالُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ. قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ أَعْصَمَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ حَلِيفٌ لِيَهُودَ؛ كَانَ مُنَافِقًا. قَالَ: وَفِيمَ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاقَةٍ. قَالَ: وَأَيْنَ؟ قَالَ: فِي جُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ تَحْتَ رَاعُوفَةٍ فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ. قَالَتْ: فَأَتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبِئْرَ حَتَّى اسْتَخْرَجَهُ. فَقَالَ: هَذِهِ الْبِئْرُ الَّتِي أُرِيتُهَا وَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ وَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ. قَال: فَاسْتُخْرِجَ. قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَفَلا أَيْ تَنَشَّرْتَ؟ فَقَالَ: أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ شَفَانِي وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ شَرًّا[1].

مناقشة هذا الاعتراض

أولا: السحر تخييل وخداع وليس له حقيقة

وردت كلمة السحر ومشتقاتها في القرآن الكريم ستين مرة، وكانت تتحدث عن اتهام الكفار لأنبيائهم بأنهم سحرة، وأنهم أتوا بسحر مبين، أو أنهم مسحورون، أو أن الناس هم المسحورون، وهناك آيات تحدثت عن أن السحر تخييل، وأنه خداع للعين البشرية بحيث لا ترى الأشياء على ما هي عليه بدقة. ولم يرد في آية واحدة منها أن للسحر حقيقة أو أنه يحيل طبائع الأشياء.

ذكر العلماء تعريفاتٍ للسحر كثيرة، بعضها يصح وبعضها لا يصح، ولا بدّ من عرض هذه التعريفات ثم تناولها من خلال الآيات التي ذكرت السحر.

التعريف الأول: السحر هو كل ما لطف مأخذه ودقّ.

التعريف الثاني: السحر هو تصوير الباطل بصورة الحق.

التعريف الثالث: السحر هو ما يُستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان مما لا يقدر عليه الإنسان.

التعريف الرابع: السحر هو علم بكيفية الاستعدادات تقتدر النفوس البشرية به على التأثير في عالم العناصر؛ إما بغير معين أو بمعين من الأمور السماوية، والأول هو السحر، والثاني هو الطلسمات[2]

من خلال هذه التعاريف، يظهر أن هناك رأيين فيه، فهو إما له حقيقة، أو لا حقيقة له، أي إما أن الله تعالى يخلق عنده ما يشاء، وإما أنه مجرد خيال.

قال القرطبي مؤيدًا القول بأن للسحر حقيقة، وأن بإمكان السحرة أن يسببوا مرضًا أو غيره للناس: "وعلى هذا أهل الحل والعقد الذين ينعقد بهم الإجماع، ولا عبرة مع اتفاقهم بحثالة المعتزلة ومخالفتهم أهل الحق".

أي أنه يزعم أن أهل السنة أجمعوا على تعريفه، ولم يشذ إلا (حثالة من المعتزلة) الذين لا يؤبه بقولهم المتهافت! وسيتبيّن أن قوله هو المتهافت على ما سيأتي. والآن لنبدأ بسرد الآيات ثم محاولة استخراج تعريف منها، بعد وضعها في مجموعات، وتفسير الآية التي يستدلون بها كثيرًا على وجود حقيقة للسحر.

آيات السحر في القرآن الكريم

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (البقرة: 102)

فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (المائدة: 110)

وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ(الأنعام:7)

قال الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ(الأعراف: 109)

يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ(112) وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ(الأعراف: 112-113)

قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ(الأعراف: 116)

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الطب، 5323

[2] يكن، فتحي، حكم الإسلام في السحر ومشتقاته، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط6، 1414هـ–1994م، ص17

وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ(الأعراف: 120)

وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ(الأعراف: 132)

أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ(يونس: 2)

فَلَمَّا جَاءَهُم الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ(76)قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ(يونس: 76-77)

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ(79)فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ(80)فلما أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ(يونس: 79-81)

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ(هود : 7) 10

لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ(الحجر: 15)

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلا مَسْحُورًا(الإسراء: 47)

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَامُوسَى مَسْحُورا(الإسراء: 101)

وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى(56)قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَامُوسَى(57)فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى(58)قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى(59)فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى(60) قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى(61)فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى(62) قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى(63)فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى(64)قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى(65)قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى(66)فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى(67)قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى(68) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى(69)فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى(70)قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى(71) قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا(72)إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (طه: 56-73) 20

لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ(الأنبياء: 3)

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ(المؤمنون: 89)

أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلا رَجُلا مَسْحُورًا(الفرقان: 8)

قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ(34)يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ(35)قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ(36)يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ(37)فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ(38)وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ(39)لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ(40)فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ(41) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ(42)قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ(43)فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ(44)فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ(45)فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ(46)قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ(47)رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ(48)قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (الشعراء: 34-49) 30

قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنْ الْمُسَحَّرِينَ (الشعراء: 153)

قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنْ الْمُسَحَّرِينَ (الشعراء: 185)

فلما جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ(النمل: 13)

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ(القصص: 36)

فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ(القصص: 48)

وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِين (سبأ: 43)

وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ(الصافات: 15)

وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (ص: 4)

إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ(غافر: 24)

وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ(الزخرف: 30)

وَقَالُوا يَاأَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ(الزخرف: 49)

10 وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ(الأحقاف: 7)

فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ(الذاريات: 39)

كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ(الذاريات: 52)

أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ(الطور: 15)

وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ(القمر: 2)

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ(الصف: 6)

فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ(المدثر: 24)

ماذا نقرأ في هذه الآيات التي جاءت فيها كلمة (السحر) ومشتقاها؟

يمكن تقسيمها في مجموعات، كما يلي:

20 المجموعة الأولى: الكفار يتهمون الأنبياء بالسحر في 11 آية، هي:

(المائدة: 110)، (الشعراء: 34، 35، 49، 153، 185)، (القصص: 36، 48)، (الصف: 6)، (الذاريات: 52)، (القمر: 2)

المجموعة الثانية: الكفار يتهمون النبي محمدًا ε بالسحر، في 12 آية، هي:

(الأنعام: 7)، (يونس: 2)، (هود: 7)، (الإسراء: 47)، (الأنبياء: 3)، (الفرقان: 8)، (سبأ: 43)، (الصافات: 15)، (ص: 4)، (الزخرف: 30)، (الأحقاف: 7)، (المدثر: 24)

المجموعة الثالثة: فرعون وقومه يتهمون موسى وأخاه بالسحر في 10 آيات، هي:

(الأعراف: 109، 132)، (يونس: 76، 77)، (الإسراء: 101)، (طه: 63)، (غافر: 24)، (الزخرف: 49)، (النمل: 13)، (الذاريات: 39)

المجموعة الرابعة: قصة فرعون مع السحرة حيث غلبهم وآمنوا، وردت هذه القصة مفصلة في سورة الأعراف وطه والشعراء. وها هي الآيات الاثنتان والعشرون:

30 (الأعراف: 112، 113، 116، 120)، (يونس: 79، 80، 81)، (طه: 57، 58، 66، 69، 70، 71، 73)، (الشعراء: 34، 35، 37، 38، 40، 41، 46، 49).

المجموعة الخامسة: تسأل الكافرين سؤالا استنكاريًا عن عدم إيماهم بالآيات التي أتى بها الأنبياء، أو تذكر قول الكافرين بأهم سُحروا، وهذه الآيات:

(المؤمنون: 89)، (الطور: 15)، (الحجر: 15)

وأخيرًا الآية الشهيرة في سورة البقرة، التي جاءت منتقدة اليهود الذين اتهموا سليمان بالكفر، وهو منه براء، إنما هم الذين كفروا، كما كانوا يعلمون الناس السحر؛ بمعنى طرق الخداع والمكر.

لذا فإنه يظهر من هذا التقسيم أن السحر المذكور في القرآن الكريم هو غير ما يتبادر إلى ذهن العوامّ، و لم نقرأ آية تُعرِّف السحر "بأنه قلب الأعيان واختراعها بما يشبه المعجزات والكرامات في ظاهره، كالطيران، وقطع المسافات في ليلة، وقلب الأشياء ذهبًا، أو خلافه"[1]، بل هو تخييل وخداع، ومن هنا فإن الله تعالى دافع عن اتهام الأنبياء بأنهم سحرة، وأنهم أتوْا بسحر مبين. ووصف السحر بأنه مجرد تخييل؛ فقال تعالى (فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى) (طه: 66)، كما وصفه بأنه خداع بصري، أي أن الساحر من خلال خفة حركته واعتماده على قوانين علمية يُري الناسَ غيرَ ما هو حاصل، قال تعالى (فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (الأعراف: 116). هذا هو السحر العظيم، ليس أكثر من خداع العين باستخدام قوانين علمية لا يعلمها إلا القليل من الناس.

مناقشة القائلين بأن للسحر حقيقة

قال القرطبي في تفسيره:

ذهب أهل السنة إلى أن السحر ثابت وله حقيقة. وذهب عامة المعتزلة وأبو إسحاق الإسترابادي من أصحاب الشافعي إلى أن السحر لا حقيقة له، وإنما هو تمويه وتخييل وإيهام لكون الشيء على غير ما هو به، وأنه ضرب من الخفة والشعوذة، كما قال تعالى: "يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى" [طه: 66] و لم يقل تسعى على الحقيقة، ولكن قال "يخيل إليه". وقال أيضا: "سحروا أعين الناس "[الأعراف: 116].

وعلّق القرطبي بقوله: "وهذا لا حجة فيه؛ لأنا لا ننكر أن يكون التخييل وغيره من جملة السحر، ولكن ثبت وراء ذلك أمور جزم بها العقل وورد بها السمع"

ثم عدّد ثلاثة أدلة على ذلك، أما الدليل الأول فقد قال فيه: "فمن ذلك ما جاء في هذه الآية –يقصد آية واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان – من ذكر السحر وتعليمه، ولو لم يكن له حقيقة لم يمكن تعليمه، ولا أخبر تعالى أنهم يعلمونه الناس، فدل على أن له حقيقة".

وأما الدليل الثاني فهو "قوله تعالى في قصة سحرة فرعون: "وجاءوا بسحر عظيم"

والدليل الثالث هو:" سورة الفلق؛ مع اتفاق المفسرين على أن سبب نزولها ما كان من سحر لبيد بن الأعصم، وهو مما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: سحر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يهوديٌّ من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم؛ الحديث. وفيه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما حل السحر: "إن الله شفاني". والشفاء إنما يكون برفع العلّة وزوال المرض؛ فدل على أن له حقًا وحقيقة، فهو مقطوع به بإخبار الله تعالى ورسوله على وجوده ووقوعه."

وتابع القرطبي يقول: "وعلى هذا أهل الحل والعقد الذين ينعقد بهم الإجماع، ولا عبرة مع اتفاقهم بحثالة المعتزلة ومخالفتهم أهل الحق. ولقد شاع السحر وذاع في سابق الزمان وتكلم الناس فيه، و لم يبد من الصحابة ولا من التابعين إنكار لأصله".

قلت: أما دليله الأول وهو أن السحر يُعلمّ وبالتالي فإن له حقيقة، فهو قول لا قيمة له، فنحن عندما نقول: إن السحر تخييل وخداع، فلا يلزم من هذا أنه لا يُعلّم، بل لا بدّ من تعلمه، فالتخييل والخداع عِلْم، ولا يسهل على أي إنسان القيام بهذه الأعمال، لكننا نقول: إن السحر لا حقيقة له، والمعنى من ذلك أنه لا يحول النحاس إلى حديد، ولا ينشئ شيئًا من لا شيء، ولا يسبب مرضًا لإنسان عن بعد، ولا يشفي إنسانًا عن بعد كذلك.

أما دليله الثاني: وهو قوله تعالى (وجاءوا بسحر عظيم) فإن هذه الآية لا تنص على طبيعة السحر، إنما تصفه بأنه عظيم، ولا شك أن القدرة على تسيير حبال –بحيث تبدو كالأفاعي–يدلّ على عبقرية علمية فذّة، وبخاصة في تلك القرون الغابرة.

أما دليله الثالث، وهو سورة الفلق وسحر الرسول صلى الله عليه وسلم فإننا سنفصل القول فيه بعد صفحات، حيث سيتبيّن أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُسحر لحظة واحدة، وقد دافع عنه القرآن الكريم وعن الأنبياء الآخرين وبرأهم من هذه التهمة التي حاول الكفار جاهدين أن يلصقوها بكل نبي.

وبالتالي تسقط استدلالاته كلها في أن للسحر حقيقة، و لم يبق إلا قولنا في أن السحر تخييل بنص القرآن الكريم. أما كثرة القائلين بأن للسحر حقيقة فليست دليلاً إلا على أن أكثر الناس مقلدون.

تفسير آية (يعلمون الناس السحر وما أنزل على المَلَكَيْن)

لقد وردت مرويات باطلة في شأن هذين المَلَكَيْن، فقد ذكرت كتب التفسير الكثير من هذه القصص، وسأقتصر على واحدة منها، لنتأملها ونبطلها.

---

[1] يكن، فتحي، حكم الإسلام في السحر ومشتقاته، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط6، 1414هـ–1994م، ص31. نقلا عن مختصر تفسير ابن كثير، ص99

أورد ابن كثير في تفسيره عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع نبي الله – صلى الله عليه وسلم – يقول "إن آدم عليه السلام لما أهبطه الله إلى الأرض قالت الملائكة أي رب "أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون" قالوا ربنا نحن أطوع لك من بني آدم قال الله تعالى للملائكة: هلموا مَلَكَيْن من الملائكة حتى نهبطهما إلى الأرض فننظر كيف يعملان قالوا: ربنا هاروت وماروت. فأهبطا إلى الأرض ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاءتهما فسألاها نفسها فقالت: لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الإشراك فقالا: والله لا نشرك بالله شيئًا أبدًا. فذهبت عنهما ثم رجعت بصبي تحمله، فسألاها نفسها. فقالت: لا والله حتى تقتلا هذا الصبي. فقالا: لا والله لا نقتله أبدًا. فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحمله. فسألاها نفسها، فقالت: لا والله حتى تشربا هذا الخمر، فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبي. فلما أفاقا قالت المرأة: والله ما تركتما شيئا أبيتماه علي إلا قد فعلتماه حين سكرتما. فخُيّرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة؛ فاختارا عذاب الدنيا.

وهناك رواية أخرى عن مجاهد عن ابن عمر تتضمن القصة ذاتها، لكنه يزيد في نهايتها أن المَلَكَيْن اختارا عذاب الدنيا بعد جريمتهما، فجعلا في بكرات من حديد في قليب مملوءة من نار عاليهما سافلهما، وفي رواية أنهما علّقا من أرجلهما في بئر في بابل.

وهذه القصص ليست إلا خرافات نعوذ بالله ونستغفره من إضاعة الوقت في سردها، وهذه المرويات باطلة للأدلة التالية:

1–لأنها تناقض أصلاً من أصول الدين، وهو عصمة الملائكة، وطاعتهم المطلقة لله تعالى. قال تعالى واصفًا ملائكته(لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ(التحريم:6) وقال تعالى عنهم (يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ(النحل:50)

2– ثم إن هذه المرويات تحض على الفاحشة، فطالما أن الملائكة قد فشلت في الصبر على طاعة الله وسقطت من أول تجربة، فمن باب أولى أن يظل الإنسان غارقًا في معصية الله.

3–ومن باب آخر فإن الملائكة لا تُرسل إلى البشر العاديين، إنما تُرسل إلى الأنبياء فقط، وهي لا تعيش في الأرض، وقد أكّد القرآن هذه الحقيقة، فقال تعالى (قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنْ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا(الإسراء: 95).

من هنا فيجب علينا أن نعتقد أن المَلَكَيْن في هذه الآية ليس على الحقيقة، بل إنهما رجلان وصفا بأنهما ملكان لصلاحهما تشبيهًا لهم بالملائكة، كما قيل عن يوسف عليه السلام (مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ(يوسف: 31).

4–ثم إن هذا التفسير لا يتفق مع سياق الآيات التي تتحدث عن غدر اليهود ونقضهم العهود، بل وتعطف اتباع اليهود ما يُتلى على ملك سليمان على نبذهم العهود ونبذهم كتاب الله وراء ظهورهم، أي عدم إيمانهم بالإسلام وتآمرهم على الرسول (ص). ولو فرضنا أنها تتحدث عن تعليم السحر بوساطة الكفار في عهد سليمان عليه السلام أو بوساطة المَلائكة، فأين العلاقة بين هذا وبين نقض العهود؟

والآن دعنا نقرأ الآية وما سبقها من آيات قرآنية لنربطها في سياقها.

أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(100)وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(101)وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ(102)وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ(103)

الآية وما قبلها وما بعدها تتحدث عن اليهود وعدم إيمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبخداعهم وبمؤامراتهم. فكلما عاهدوا عهدًا نبذه فريق منهم، ولما جاءهم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم مصداقًا لما جاء في التوراة التي بشرت به، لم يعودوا يأبهون بهذه الآيات التوراتية، ونبذوها وراء ظهورهم، وكأنهم لم يسمعوا بها و لم يعلموها.

وبدل أن يتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤمنوا به نبيًا ويطيعوه، نراهم يخططون ويتآمرون للنيل من الإسلام ونبي الإسلام صلى الله عليه وسلم من خلال محاولات لاغتياله صلى الله عليه وسلم أو من خلال حضّ كسرى على مهاجمة المسلمين. إنهم –أي اليهود المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم –يتبعون ما تتقول الشياطين على ملك سليمان، حيث اتهمه هؤلاء رؤوس الشر والفساد بأنه كافر يمارس الفاحشة والرذائل، لكن سليمان عليه السلام ما كفر، إنما أعداؤه الذين قاموا بتأسيس منظمة سرية تسعى لتقويض حكمه هم الذين كفروا، وهم الذين علّموا الناس السحر والخداع والدجل. كما عمل يهود المدينة على تقليد النبيين هاروت وماروت اللذيْن كانا قد خطّطا لتقويض ملك البابليين

الذين اضطهدوهم بالتعاون مع ملك فارس كورش. ولكن يجدر أن نعلم أن ما قام به هذان النبيّان ليس حرامًا، بل هو جهاد مشروع، ذلك أن البابليين قد ساموا اليهود سوء العذاب، واضطهدوهم في دينهم، وسَبَوهم إلى بابل، بعد أن طردوهم من ديارهم وأجبروهم على مغادرتها. ومن هنا فلا يصحّ لليهود أن يتآمروا ضد نبي الإسلام زاعمين أنهم يتبعون النبييْن هاروت وماروت في مقاومة ملك البابليين. إنما هم متبعون في عملهم هذا أعداء سليمان عليه السلام الذين كانوا يتآمرون ضدّه، وكانوا يتهمونه بالكفر، رغم أنهم هم الكافرون.

عندما أرسل الله تعالى نبييْه هاروت وماروت، كانا يطلبان من اليهود الانضمام إلى دعوتهما القائمة على التحرر من الظلم البابلي، وكانا يحرّضان اليهود بقولهما: إن الله بعثنا اختبارًا لكم، فلا تكفروا بعدم اتباعنا.

هذا المقطع من الآية (وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ) فسّرها كثير من العلماء بقولهم: إن هذين المَلَكَيْن كانا يعلمان الناس السحر، بيد أنهما كانا يقولان قبل تعليمهم: إياكم أن تتعلموا منا، فنحن فتنة، فلا تطيعونا ولا تسمعوا لنا، فإن أصرّ أحد رغم هذا التحذير علّماه.

10 وهذا أمر مناقض للعقل، فهل يوجد أحد يقول عن (زيته عكر) كما يقال في المثل الشعبي؟ وهل يذم أحدٌ ما عنده من علم؟ ولماذا لا يتركه إن كان في تعليمه ضرر كما يعلم؟ وإذا كان هذان الملكان أو الرجلان صالحيْن فلماذا يقومان بتعليم هذا الفساد؟

وما دام هناك حذف في الآية فلماذا يُقال: فلا تكفر باتباعنا؟ ولا يُقال: فلا تكفر بعدم اتباعنا؟

لقد كان هاروت وماروت يبينان للناس صعوبة الأمر الذي يقدمون عليه من تخطيط وتنسيق مع ملك فارس لمحاربة ملك بابل، فإذا انكشف أمرهم حصلت الكارثة، ولكن هذا الفعل —وهو التحرر من نير الظلم البابلي– واجب، ومن ثمّ يجب على اليهود أن يطيعوا نبييْهم هاروت وماروت اللذيْن أرسلا لامتحان الناس واختبارهم وليميز الله الخبيث من الطيب، وكانا يقولان لمن يدعوانه: إياك من عدم اتباعنا وطاعتنا فيما نحن ننوي القيام به طاعة لله، وإلا فإنك تكفر.

أما قوله تعالى (فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ)، فلا شيء فيه عن الحجابات وأثرها في إحداث خلافات أسرية، بل إن هذين النبيّيْن كانا لا يضمان في عضوية منظمتهم السرية —الهادفة لتقويض ملك بابل الظالم– سوى الرجال، أما النساء فكان يتم إخفاء العمل عنهن، ولا يُسمح لهن الاشتراك في أي نشاط، ذلك أن النساء لا يستطعن تحمل أعباء هذه الأعمال الخطيرة، وقد يتم إفشاء أسرار خطيرة من

20 خلالهن. وقد يبدو هذا التفسير غير مستساغ، لكن إذا ربطناه بالتاريخ فلا يبعد ذلك، وإذا فنّدنا أن يكون مَلَكَان معصومان يقومان بتعليم الناس السحر والخداع، بات هذا التفسير طبيعيًا لا غرابة فيه.

(وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ)

إن هذه الجمعية السرية لا تقوم بالإضرار بأحد إلا من خلال الوحي الذي أنزله الله تعالى إلى هاروت وماروت، فهم لا يعتدون على أحد ولا يضرون أحدًا حبًا في العدوان، بل إن هذا يتم بوحي من الله تعالى الذي أراد أن ينجي عباده من الظلم العظيم الواقع عليهم من البابليين. وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى (مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ) (الحشر: 5)

(وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ)

أما اليهود المعاصرون للنبي صلى الله عليه وسلم فإنهم يتعلمون –من قصة هاروت وماروت وعملهم السري للإطاحة بالبابليين، ومن الجماعات السرية المناهضة لسليمان عليه السلام– كيف يخططون لخيانة عهودهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم محتجين بتلك الأعمال. وأنّى لهم ذلك، إنهم يتعلمون ما يضرهم في الدنيا والآخرة، ذلك أن عملهم مختلف جدًا عن عمل هاروت وماروت المشروع، فهما قد ثارا ضد الظلم،

30 وأنتم–أيها اليهود–تتآمرون ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ)

لقد علم اليهود المتآمرون على الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم بعملهم هذا قد خسروا الآخرة، لأنهم يعلمون أن نبينا محمدً صلى الله عليه وسلم صادق، ولا يمكن أن يكوم كاذبًا بحال من الأحول، لكنه العناد والكبر اليهودي.

(وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)

لو كانوا يعلمون أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم سينال من القوة والسلطان ما لا قِبل لهم به، وأنه سينفيهم من الجزيرة العربية جزاء خيانتهم المتكررة.

هذا هو تفسير الآية الوحيدة التي يحتج بها القائلون بأن للسحر حقيقة. ونحن لا نُلزمهم بهذا التفسير، إنما يجدر أن يلتزموا ترك التفسير المناقض لعصمة الملائكة وللعقل.

وبهذا يبطل القول بأن هناك اتصالاً بين الجن الشبحي وبين الإنسان لإحداث عملية السحر؛ فناموا هنيئًا أيها الناس، وسيروا في الأرض ليل نهار بأمن وأمان وطمأنينة؛ فلا (حجابات) تضرّكم ولا أشباح تطاردكم، وليس إلا سنن الله في هذا الكون التي لن تجدوا لها تبديلاً ولن تجدوا لها تحويلاً، وليس عليكم سوى دراستها وتعلمها لتعمروا الأرض وتحققوا الغاية التي من أجلها خلقكم الله عز وجلّ.

ثانيًا: مناقشة وتفنيد سحر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

خرافة سحر نبينا، محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، تشبه خرافة الغرانيق التي كان يعتقد بها كثير من المسلمين في يوم من الأيام، ثم رفضوها بفضل الله تعالى. بيد أن قصة السحر لا زال يرى صحتها كثيرٌ من العلماء والعامة.

وهذه القصة الاستفزازية تراها في كتب الحديث وفي كتب التفسير عند تفسير سورة الفلق عند قوله تعالى (من شر حاسد إذا حسد)(الفلق: 6). ويَرى المعتقدون بذلك أن يهوديًا سحر نبينا الكريم محمدًا صلى الله عليه وسلم "حتى كان يُخيّل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله" أو "حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن"أو حتى "لبث ستة أشهر يرى أنه يأتي ولا يأتي".

إن هذه الروايات باطلة سندًا ومتنًا:

أما من ناحية السند فإن مدار غالبية الروايات على هشام بن عروة، الذي رواها عن أبيه. ومعلوم أن هشام يرسل الروايات عن أبيه، حيث قال عنه يعقوب بن أبي شيبة:"هشام بن عروة ثقة ثبت لم ينكر عليه شيء إلا بعد ما صار إلى العراق، فإنه انبسط في الرواية عن أبيه فأنكر عليه ذلك أهل بلده، فإنه كان لا يحدث عن أبيه إلا ما سمعه منه، ثم تسهل فكان يرسل عن أبيه"[1]. وقال مالك بن خراش: كان مالك لا يرضاه، وكان هشام صدوقًا تدخل أخباره في الصحيح، بلغني أن مالكًا نقم عليه حديثه لأهل العراق، قدم الكوفة ثلاث مرات، قَدْمَةً كان يقول: حدثني أبي سمعت عائشة، وقدم الثانية فكان يقول: أخبرني أبي عن عائشة، وقدم الثالثة فكان يقول: أبي عن عائشة"[2] وقال الآجري عن أبي داود: لما حدث هشام بن عروة بحديث أم زرع، هجره أبو الأسود يتيم عروة، وقال العقيلي: قال ابن لهيعة: كان أبو الأسود يعجب من حديث هشام عن أبيه، وربما مكث سنة لا يكلِّمه. قال أبو الأسود: لم يكن أحد يرفع حديث أم زرع غيره. وقال أبو الحسن بن القطان: تغيَّر قبل موته، ولم نر له في ذلك سلفًا"[3]. "ولا يقوي هذه الرواية تلك الرواية التي جاءت من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم، وذلك لسببين: أولهما : تدليس الأعمش الذي لم يصرح بالسماع هنا، وثانيهما: أن يزيد بن حيان لم يصرح بالسماع من زيد بن أرقم في هذه الرواية. ويجدر أن نعلم أن يزيد بن حيان رغم أنه يوصف بأنه ثقة، إلا أنه لم يرو عن زيد بن أرقم إلا حديث السحر وحديث يبيِّن فيه مكانة أهل البيت، وهو حديث يستدل به الشيعة كثيرًا، وقد ردّ الاستنتاجَ المرويَّ عن زيدِ بن أرقم في هذا الموضوع ابنُ حزم الأندلسي[4]، كما روى يزيد عن كدير الضبي، وهو من غلاة الشيعة[5]. والمعنى أن يزيد بن حيان ليس معروفًا برواية الحديث[6].

---

[1] الذهبي، تذكرة الحفاظ، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج1ص144

[2] ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج11ص50

[3] المرجع السابق، ص51

[4] ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ج1ص79

[5] ابن حجر، لسان الميزان، ج4ص486، وضعفاء العقيلي، ج4ص13

[6] يزيد بن حيان ليس معروفًا برواية الحديث، ففي الكتب التسعة لم يُرو عنه إلا حديثان، وهما عن زيد بن أرقم، أما موضوعاتهما فهي:

1-ضرورة التمسك بأهل بيت النبي، فيما يُعرف بحديث الثقلين، وهما عند زيد القرآن وآل البيت، بينما ورد في طرق عديدة أنهما القرآن وسنة نبينا محمد ε. وقد وردت هذه الأحاديث في صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، وفي مسند أحمد، 18465، 18466وفي سنن الدارمي، 3182

2-سحر النبيε، حيث وردت في سنن النسائي، 4012. وفي مسند أحمد، 18467

أما المتن فهو باطل من أوجه عديدة. أهمها:

1-قال الله تعالى عن المشركين :(وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا(الفرقان: 9). وقد رد الله قولهم وأبطله، فقال تعالى(انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا(الفرقان: 10). "لذا يجب علينا اعتقاد أن القرآن جاء بنفي السحر عن رسول الله ε، حيث نسب القول بإثباته إلى المشركين ووبخهم على ذلك"[1]

2-"سورة الفلق مكية، في قول عطاء وقتادة وجابر، وما يزعمونه من السحر إنما وقع في المدينة"[2] والمعنى أن مـــا قيـــل إن السورة نزلت بشأنه لا يمكن أن يصح، فالسورة نزلت قبل ما قيل إنه سبب نزولها بسنوات، حيث إن قصة السحر المخترعة حدثت في المدينة باتفاق القائلين بسحر النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا يرد الحديث متنًا.

3-تتعارض هذه الروايات مع قوله تعالى (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ)(المائدة: 68). فهل معنى هذه الآية أن يتمكن يهـــودي من التأثير على النبي ε بحيث يجعله لا يدري أتى زوجاته أم لم يأتهن، أو أنه فعل الشيء أم لم يفعله؟

4-تتعارض هذه الروايات مع عصمة النبي صلى الله عليه وســـلم، إذ إن الروايات تتحدث عن نسيان يتعلق بأمور دينية هامة، فالذي لا يدري فيما إذا أتى زوجاته أم لا، لا يدري أهو جنب أم طاهر، وهذا يتعلق بجواز الصلاة أو عدمه. والذي ينسى أنه أتى زوجته أم لا، قد يظلم الزوجة الأخرى بتكرار إتيان الأولى، وقد يظلم الزوجة بعدم إتيانها لظنه أنه قد أتاها. كما أن الذي لا يدري أنه فعل الشيء و لم يفعله، أو أنه أتى زوجته أم لا، يكون في حالة صعبة جدًا، إذ إن هذا يدل علـــى حالـــة نفسية صعبة جدُّ صعبة. ولا نشك لحظة في أن رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين تعرَّض لذلك لحظـــة واحدة. إذ لو تعرض لهذا ما انفرد بهذه الروايات هشام عن أبيه.

5-هذه الحكاية، لو صحت، لكانت مثار جدل ونقاش وتساؤلات، ولقال كثير من المنافقين: ما بال الرسول هكذا، ولوجد اليهود شـــبهاتٍ تفرحهم مع العلم أن سفيانَ وصف سحر الرسول بأنه من أشد ما يكون من السحر، ولذهب المسلمون ليزوروا رسولهم مطمئنين على صحته، ولوقف عمر قائلا: دعني أضرب عنق هذا اليهودي الذي سحرك هذه الأشهر كلها، ولحدثت أمور كثيرة متعلقة بهذا الحدث الغريب والمتعلـــق بنبي الأمة، وحاكمها، وقائد جيشها، والقارئ على الناس ما يتنـــزل من قرآن كريم.

لكن شيئا من هذا لم يحدث، فلم يروِ هذه الخرافة سوى هشام الذي يرسل عن أبيه، والأعمش الذي يدلس عن يزيد شـــبه المجهول؟

7-ورد في حديث للرسول صلى الله عليه وســـلم أنه قال: (من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ... إلا كانت له حرزًا من الشيطان)[3].

وكنت قد ناقشت أحدهم في هذه المسألة، في سحر النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إنه لا تأثير للشيطان على المؤمن ما دام هـــذا المـــؤمن يذكر الله تعالى، واستدل بهذا الحديث، فقلت مسرعًا: ألم يكن خاتم الأنبياء والمرسلين يذكر الله تعالى حتى سحره ذلك اليهودي؟

فردّ مستنكرًا: ألا يحتمل أن يكون رسولنا صلى الله عليه وسلم قد نسي هذا الدعاء في ذلك اليوم؟ قلت: أولاً هذه إساءة للنبي صلى الله عليه وسلم، وثانيًا نحن ننسى هذا الدعاء كثيرًا، ويحتمل أن أكثرنا لم يدع به البتة، فما بال الجنّ نسينا؟

8-يقول الله تعالى (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى)(طه: 70). فهل أفلح لبيد بن الأعصم في سحر نبينا صلى الله عليه وسلم؟

فهذا ما رواه يزيد في الكتب التسعة؛ روايتان خالف فيهما الثقات.

فهل يُعقل أن يغفل الصحابة عن قصة السحر وينساها من بعدهم التابعون حتى يأتي يزيد بن حيان ليحدثها، وهو في الوقت نفسه لم يحدث غيرهـــا ســـوى روايـــة مرفوضة عند أهل السنة.

[1] المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، دار الفكر، ج10ص268

[2] م.س

[3] البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، 3119

9-ثبت، عقلاً، أن السحر تمويه وخداع وليس له حقيقة، وأكرر التحدي الذي أعلنته لكل السحرة وأعوانهم أن يسببوا لي مرضًا عضويًا أو تأثيرًا على عقلي، أو أن يتمكنوا من إفشالي في إعطاء محاضرة لطلابي في مبحث من المباحث التي أدرسها في الكلّيّة.

ومن هنا فإننا ندعو أن تهمل هذه الخرافة كما أهملت خرافة الغرانيق من قبلها.

الشعوذة و(الحجابات)

لا بدّ من التطرق لهذا الموضوع لما له من ارتباط بمفهوم الجن، ولما له من تأثير على العامة.

يعتقد كثير من الناس بوجود اتصال وتنسيق بين بعض البشر، وبين بعض الجنّ الشبحي، حيث يقوم الجنّ بخدمة الإنسان الذي يتعامل معه، مقابل أن يقوم هذا الإنسان بالكفر البواح؛ وذلك مثل أن يلقي المصحف في مكان نجس، أو أن يشتم الله والدين. ومن ضمن الخدمات التي يقدمها الجنّ إضراره بأي شخص يشير إليه (المشعوذ). ونراهم يستدلون بآيات قرآنية يلوون أعناقها لتدعم اعتقادهم البدائي، وذلك مثل قوله تعالى (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجنّ فزادوهم رهقا).

كما يعتقد البعض أن السحرة يستخدمون الجنّ الشبحي لتنفيذ مهامهم السحرية. ويرى كثيرون أن الساحر، عندما يخرج حمامة من منديله الفارغ، يكون قد تشكل الجنّ بهذه الحمامة.

وهذه اعتقادات باطلة تنزه القرآن عنها، وليست إلا من أساطير الأولين.

إذا كان الجنّ الشبحي يخدم الكافر الذي يهين الإسلام، فلماذا لا يقدم خدماته للملحدين والحاقدين على ديننا وقرآننا؟ إن هناك ملايين من البشر ممن يكرهون القرآن، وممن يعملون على تشويهه والتنقيص من قيمته واحترامه. ولكن لا نرى اتصالا بين أحدهم وبين الجنّ، فلماذا أيها الناس؟ إن نظرية التعامل بين الإنسان الكافر والجنّ مقابل ممارسات كفرية لهي نظرية داحضة، لا دليل عليها.

وإني أتحدى أولئك (المتعاملين!) مع الجنّ الشبحي-ويظن الناس أن بإمكانهم أن يضروا وينفعوا - أتحداهم أن يؤثروا على مثقال ذرة! إنهم عاجزون، وإن جنهم أعجز منهم.

وقد عرضت على أحد المصدقين بهذا ألف دينار ليعطيها لأحد هؤلاء مقابل أن يتمكن من ترسيبي في امتحان في الجامعة، على أن يأخذ المبلغ بعد أن أرسب، وهذا العرض مفتوح لكل الناس، ولكل القرّاء..

أما السحر فهو تمويه وخداع، وليس له حقيقة؛ بمعنى أنه لا يحيل طبائع الأشياء. فالحمامة التي يظهرها الساحر فجأة من منديله، يكون قد أخفاها تحت إبطه، وربطها بخيط رفيع لا يرى. وهذه حيل عديدة يكشفها أصحابها بين الفينة والفينة، وتباع هذه الأسرار بمبالغ كبيرة، وهناك سحر مبني على قوانين فيزيائية، وقوانين كيميائية. وكلما عرف سر نوع من السحر، جاءوا بسحر آخر. فالسحر احتراف وعلم قائم بذاته، وله جامعاته، وطلابه وأساتذته.

لنعد إلى الآية الكريمة (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجنّ فزادوهم رهقًا)

كلمة رجال (جمع رجل) وتعني الذكر من جنس الناس. وكما هو معلوم فإن الذكر من جنس البقر يسمى ثورًا، والذكر من جنس الماعز يسمى فحلاً، ومن جنس الغنم يسمى كبشًا..ولو وجدت أشباح لكان لذكرها اسم يطلق عليه. ولا يمكن أن يكون هذا الاسم رجلاً.

من هنا نتبين أن جملة (رجال من الجنّ) تعني رجال من كبراء القوم وسادته المستترين عادة. فالآية تتحدث عن العوام من الناس الذي يلجئون إلى الكبراء وأصحاب النفوذ ليتقووا بهم، فيطلب الكبراء من العوام والرعية الملتجئين إليهم خدمات كبيرة، وتنازلات عن مبادئهم، فيحملونهم فوق طاقتهم فيرهقونهم، كما يزداد الكبراء بهذا غطرسة وكبرًا.

الاعتراض الثالث: استراق الجن السمع

قالوا: لقد ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري أن الجن يسترقون السمع من السماء، حيث يركب بعضهم فوق بعض حتى يصلوا السماء، وفي هذا دليل على وجود الجن.

واستدلوا بقوله تعالى (إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب ثاقب)، وبتفسيره من خلال الحديث، حيث فهم هؤلاء العلماء من هذه الآية ومن الحديث أن الجنّ يصعدون إلى السماء ليستمعوا ما يدور في الملأ الأعلى؟[1]

إن استدلال القائلين بذلك يمكن تلخيصه بما يلي:

1-إن الشياطين كانوا قادرين على سماع أخبار السماء

2-إن هذه الأخبار كانت محتوية على الغيب

أمّا قدرة الجنّ على سماع أخبار السماء فتنقض من خلال أدلة نقلية عديدة، منها:

-قوله تعالى (وما تنزلت به الشياطين، وما ينبغي لهم وما يستطيعون، إنهم عن السمع لمعزولون)

-قوله تعالى (أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين)

وأمّا اختطاف الجنّ والشياطين للأخبار الغيبية فتبطله أدلة أكثر، كلها تؤكد أن الغيب لله فقط، ولا يطلع عليه أحد.من هذه الأدلة :

---

[1] ذكرت سابقًا قصة الجن الذي يركب بعضُه ظهر بعض حتى يصل إلى السماء ليسمع ما يقول الله تعالى لملائكته عن أخبار غيبية توشك أن تقع. وقد علّقت على هذا التصور بأنه مجوسي، لأنه يوحي بأن للعالم إلهين اثنين، إله للخير وإله للشر وبينهما صراع محتدم، وعندما قرأ تعليقي أحد أدعياء السلفية كتب ما يلي: "تمادى المؤلف في ضلاله فوصف تفسير النبيε في هذه الآية بأنه اعتقاد مجوسي! أما نحن فما كان لنا أن نتجاوز تفسير النبي ε، فقد روى البخاري في صحيحه قال: حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا عَمْرٌو قَالَ سَمِعْتُ عِكْرِمَةَ يَقُولُ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ فَإِذَا (فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا) لِلَّذِي قَالَ (الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الْكَاهِنِ فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ فَيُقَالُ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ انظر: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن

قلت: لم أصف -وما كان لمسلم أن يصف- تفسير الرسول ε بأنه اعتقاد مجوسي، وهذا افتراء واضح، بل إنني أرفض أن أنسب هذه الرواية إلى رسولنا العظيم محمد ε، وهي رواية باطلة سندًا ومتنًا..فمن ناحية السند مدارها على عكرمة مولى ابن عباس الذي اتُّهم بالكذب كما يظهر من الأقوال التالية: "قال ابن عمر لنافع: اتق الله، ويحك يا نافع لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس...وكان سعيد بن المسيب يقول لغلامه برد: لا تكذب علي كما يكذب عكرمة على ابن عباس...وكان مالك لا يرى عكرمة ثقة ويأمر أن لا يؤخذ عنه... وقال عنه أيوب: كان قليل العقل...وقال طاووس لو أن مولى ابن عباس اتقى الله وكفّ من حديثه لشدت إليه المطايا... قيل إن جنازته اتفقت وجنازة كثير عزة بباب المسجد في يوم واحد، فما قام إليها أحد...وقال عنه ابن أبي ذئب: كان غير ثقة" انظر: العسقلاني، ابن حجر، تهذيب التهذيب، حيد أباد الدكن، مجلس دائرة المعارف النظامية، ط1، 1326هـ،ج7 ص267-271قال الذهبي: "وقد تُكلم فيه بأنه على رأي الخوارج، ومن ثم أعرض عنه مالك الإمام ومسلم" انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج1ص96.

أما متن هذه الرواية فإنه باطل من وجوه عديدة يستطيع القارئ أن يلحظها، وحيث إن سندها ضعيف فهي رواية ضعيفة، ولا داعي للتعليق على متنها.

كما لا يجدر أن يزين أحد هذه الرواية الضعيفة بادعاء أن لها شواهد، فهذه الشواهد لا تقوّي هذه الرواية البتة. أما الشاهد الأول فهو رواية مدارها على عروة بن الزبير، نصها:" سَأَلَ أُنَاسٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْكُهَّانِ فَقَالَ إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِشَيْءٍ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ بِالشَّيْءِ يَكُونُ حَقًّا قَالَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ فَيُقَرْقِرُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ كَقَرْقَرَةِ الدَّجَاجَةِ فَيَخْلِطُونَ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ انظر: صحيح البخاري، كتاب التوحيد. فهذه الرواية لا تتحدث عن ركوب جن على ظهر جن آخر، ثم إنه يمكن تأويلها بطريقة يُفهم منها أن الجني هنا ليس الجن الشبحي، ولكنها قبل كل شيء رواية غريبة مدارها على راوٍ واحد هو عروة الذي لم يروها إلا عن عائشة. والشاهد الثاني مداره على علي بن الحسين الذي رواها بالعنعنة عن ابن عباس ونصها: 3148 حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِذْ رُمِيَ بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ لِمِثْلِ هَذَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا رَأَيْتُمُوهُ قَالُوا كُنَّا نَقُولُ يَمُوتُ عَظِيمٌ أَوْ يُولَدُ عَظِيمٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ لا يُرْمَى بِهِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ وَلَكِنَّ رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ لَهُ حَمَلَةُ الْعَرْشِ ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ إِلَى هَذِهِ السَّمَاءِ ثُمَّ سَأَلَ أَهْلُ السَّمَاءِ السَّادِسَةِ أَهْلَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالَ فَيُخْبِرُونَهُمْ ثُمَّ يَسْتَخْبِرُ أَهْلُ كُلِّ سَمَاءٍ حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبَرُ أَهْلَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَتَخْتَطِفُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَيُرْمَوْنَ فَيَقْذِفُونَهُ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ وَلَكِنَّهُمْ يُحَرِّفُونَهُ وَيَزِيدُونَ قَالَ أَبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ رِجَالٍ مِنَ الْأَنْصَارِ قَالُوا كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ نَحْوَهُ بِمَعْنَاهُ حَدَّثَنَا بِذَلِكَ الْحُسَيْنُ بْنُ حُرَيْثٍ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ *انظر: سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن. جدير أن نعلم أن علي بن الحسين لم يرو عن ابن عباس إلا ثلاثة أحاديث كلها معنعنة و لم يورد البخاري في صحيحه أي رواية من هذا الطريق، ما يؤكد أن لقاء بينهما لم يحصل، ومن ثم فإن الرواية منقطعة.

-قولـــه تعالى (..فلما خر تبيَّنت الجنّ أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين)(سبأ: 14)
-قولـــه تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبـــه أحدا إلا من ارتضى من رسول)(الجنّ: 26)
-قولـــه تعالى (فقل إنما الغيب للـــه)(يونس: 20)
-قولـــه تعالى (أم عندهم الغيب فهم يكتبون)(الطور: 41، القلم: 47)
-قولـــه تعالى (قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا اللـــه)(النمل: 65)

ثانياً: إذا فرضنا أن الجنّ يتمكن من اختطاف الوحي قبل وصولـــه إلى البشر، فهذا تشكيك بوحي الأنبياء، فكونـــهم قادرين على اختطافـــه وهو في السماء يعني أنـــهم قادرون على أن يضيفوا إليه شيئا من عندهم قبل وصولـــه إلى الأنبياء؛ ومما يؤسف لـــه أن هناك روايات تفيـــد هذا، لكنـــها أصبحت مرفوضة من كثير من المحدثين؛ مثل خرافة الغرانيق.

ثالثا: يعتقد القائلون بالتفسير المتداول أن الجنّ الذي يختطف المعلومات الغيبية يخلط فيها أشياء كاذبة، قبل أن يبلغها للكاهن. والسؤال المتبادر إلى الذهن : لماذا يخلطون الصحيح بالكذب، أليس من الأولى أن يجعلوا الناس يثقون بـــهم وبقدراتـــهم، بدل أن يفتضح أمرهم. 10

رابعاً: يقول اللـــه تعالى (إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين)، ونسألـــهم : لماذا وُصف الشهاب هنا بأنـــه مبين؟ هل هناك شهب غير مبينة؟ بل كل شهاب يكون مبيناً، فتفكروا

وبعد أن ثبت أن التفسير التقليدي باطل من أبواب عديدة، نذكر التفسير الصحيح لـــهذه الآيات الواردة في سورة الرعد والحجر والصـــافات والملك..

ولا بد قبلـــها من ذكر أن القرآن الكريم قد شَبَّهَ بين العالم المادي والعالم الروحاني في مواقع عدة؛ منـــها: قولـــه تعالى (يا أيهـــا الـــنبي إنـــا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * وداعيا إلى اللـــه بإذنـــه وسراجا منيرا)(الأحزاب: 45-46)، فهذه الآية تصف رسولنا محمدا بأنـــه شمس مشرقة. فهو بمثابة الشمس التي تدور حولـــها الكواكب، والكواكب هنا هم الأنبياء والمرسلون الذين كانت رسالاتـــــهم تمهيـــدا لرسـالة محمدε.

ومنـــها قولـــه تعالى (إذ قال يوسف لأبيه إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتـــهم لي ساجدين)(يوسف: 4)

نعود إلى الآية (ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين. وحفظناها من كل شيطان رجيم. إلا من اســترق الســمع فأتبعــه شــهاب مبين)(الحجر: 16-18) 20

إن موضوع تزيين السماء وحفظها ذكر دوما عقب الحديث عن الوحي الإلـــهي[1]، فلا يبقى مجال للشك أن المقصود هو الســماء الروحيــة وحفظها، لا السماء المادية، وأن السماء المادية ذكرت على سبيل التمثيل فقط، ومعنى السماء الروحية هنا مجالس الأنبياء. والشهاب يعني النبي الذي يأتي بالآيات البينة، ويكشف زيف الذين يريدون أن يعبثوا بكلام اللـــه، ويكون هذا الشهاب مبينا، أي معه آيات بينات واضحات.

فكلام اللـــه يبقى محفوظا ما دام في السماء، أو حينما يتنـــزل على الأنبياء (السماء الروحية). ولكن بعد أن ينـــزل إلى السماء الدنيا ويعرض على البشر، ويخرج من حيز الغيب إلى حيز الحاضر المشهود، ويصير كلاما مسموعا تتناقلـــه ألسنة الناس ... فإن الشياطين(أعداء الأنبيـــاء) يسرقونـــه ..بمعنى أنـــهم يحرفونـــه، أو يعزونـــه إلى أنفسهم، ويتـــهمون الأنبياء بأنـــهم هم الذين سرقوه عنـــهم

الاعتراض الرابع: قصة سليمان والجن

[1] كما في قولـــه تعالى (إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب، وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب. دحورا ولـــــهم عذاب واصب. إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب)(الصافات: 7-11) . فقد جاء هذه الآيات بعد قوله تعالى (والصافات صفا. فالزاجرات زجرا. فالتاليات ذكرا)

وفي قولـــه تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين) (الملك:6)

وفي قولـــه تعالى (ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين. وحفظناها من كل شيطان رجيم. إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين)(الحجر:16-18). فقد جاءت بعد قوله تعالى (إنا نحن نـــزلنا الذكر وإنا له لحافظون)

وفي قوله تعالى (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا. وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) (الجن) فقد جاءت هذه الآيات بعد قوله تعالى(فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا. يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدتا... وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا)

قالوا: لقد ذكر القرآن الكريم قصة سليمان باستفاضة، ويتضح منها أن الجن كانوا يخدمون نبي الله سليمان عليه السلام، كما عـرض عليـه أحدهم أن يأتي بعرش بلقيس من اليمن خلال ثواني معدودات. وفي هذا دليل على وجود الجن ذي القدرات الخارقة.

مناقشة هذا الاعتراض:

لا بدّ من الاستفاضة في مناقشة هذا الاعتراض، وتفسير ما جاء في قصة سليمان كلها، حيث فُهمت بشكل مخالف لسنة الله تعالى في الكـون، ومناقض للغة العربية وقواعدها، ومناقض للعقل وللتاريخ.

لقد نسجت أساطير حول نبي اللـه سليمان عليه السلام، فقالوا: إنـه تـزوج مائة امرأة، وأنـه قال مرة، إنـه سيطوف علـيهن في ليلـة واحدة، وسينجب مائة فارس يجاهد في سبيل اللـه، ولكنـه فشل في ذلك، ولم تلد إلا إحداهن نصف إنسان؛ لأنـه لم يقـل إن شـاء اللـه[1]. وفهموا أن العصافير والحشرات تتحدث معه، وقالوا : إنـه كان يسجن الأشباح في السجون البشرية العادية.

الحقيقة أن سليمان كان نبيًا كريمًا أسس مملكة قوية، لكنـها سرعان ما انـهارت بعد موتـه واختلاف ابنيه على السلطة وتحاربـهما.

ولا بد من ذكر الحقائق التالية قبل تفسير الآيات:

لم يرد في القرآن الكريم أن ما أعطاه اللـه تعالى لسليمان كان معجزة، بل كان فضلا. اقرأ قولـه تعالى (وورث سليمان داود وقال يا أيهـا الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لـهو الفضل المبين)ولم يقل إن في ذلك لآية، أو إن هذه آية بينة...

فتعلم منطق الطير ليس معجزة، بل فضل؛ لأن المعجزة في المصطلح القرآني تعني الآية.. بدليل قول اللـه تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيـات بينات) وقال تعالى (هذه ناقة اللـه لكم آية)

ومما يؤكد أن تحدث سليمان مع النمل أو الـهدهد ليس معجزة أن شروط المعجزة لا تنطبق على ذلك.

فالمعجزة أمر خارق للعادة والمألوف يجريها اللـه على يد من يصطفيه للنبوة، ليتحدى بـها الناس، فيعجزون عن الإتيان بمثلـها.

أي أنـه لا تسمى المعجزة معجزة إلا إذا تحققت فيها الشروط التالية:

1-أن تكون أمرًا خارقًا للعادة.

2-أن يتم بـها التحدي، ولا يتم التحدي إلا بمشاهدة المعجزة ومعايشتـها.

3-أن تكون المعجزة مقرونة بدعوى النبوة.

4-ألا يتمكن أحد من معارضة هذه المعجزة.

5-أن يكون المقصود منـه إظهار صدق مدعي النبوة.

هذه الشروط تنطبق على القرآن الكريم كمعجزة، فهو كتاب أعجز الناس عن الإتيان بمثلـه، وقد تحداهم رسول اللـه أن يأتوا بمثلـه، فلـم يتقدم أحد لذلك. قال تعالى (أم يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثلـه مفتريات).

بينما لا تنطبق هذه الشروط على ما اعتبره بعض العلماء معجزة لسليمان عليه السلام؛ فسماعه النملة لم يشعر بـه أحد، فلم يتحقـق أهـم شرط للمعجزة؛ وهو التحدي بـها؛ فهو لم يَتَحَدَّ بـها أحدا. وكذلك تعلم منطق الطير الذي سماه القرآن فضلا ولم يسمّه معجزة. كمـا لم يُسمى حشرَ كل من الإنس والجنّ والطير معجزةً.

ينبغي أن نعلم أن المعجزة مقصورة على الأنبياء، لكن ليست شرطاً للنبوة، بمعنى أن بعض الأنبياء لا يؤتيهم اللـه معجزة، وكثير من الأنبياء لم يكن معهم أي معجزة كبعض أنبياء بني إسرائيل، وقد يكون سليمان أحدهم، فالقرآن المجيد لم يذكر لـه معجزة واحدة.

ولنبدأ بتفسير الآيات المتعلقة بموضوعنا من سورة النمل:

---

[1] انفرد بهذه الرواية أبو هريرة، ولا أشك لحظة في أن رسولنا الكريم ε لم ينطق بهذه الحكاية، بل هي من قصص كعب الأحبار، ولكن الرواة خلطوا، ومما يدل على ذلك ما أورده الذهبي "عن بسر بن سعيد، قال: اتقوا الله، وتحفّظوا من الحديث؛ فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة؛ فيحدث عن رسول اللهε، ويحدثنا عن كعب، ثم يقوم فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله عن كعب، ويجعل حديث كعب عن رسول الله ε. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4ص191

والرواية باطلة لأكثر من سبب، لأنه لا يليق بأي رجل لديه شيء من الُخُلق أن يقول سأذهب لأنام مع زوجاتي، ولأنه لا يُعقل أن ينام رجل مع مائة امرأة في ليلـة واحدة، فالليلة الواحدة تمكث عشر ساعات على الأكثر، وهذا يعني أن مدة مكثه عند المرأة الواحدة 6 دقائق، وهذه الدقائق تشمل الاستحمام والانتقال للزوجـة الأخرى. ولأنه لا يعلم الغيب حتى يقول ستلد كل امرأة مجاهدًا في سبيل الله. ولأنه لا يليق بنبي الله أن ينسى قول إن شاء الله. ولأن قضاء ليلة كاملـة في معاشـرة النساء ليس خُلُق صالحين بَلْهَ أنبياء. فلنترك قصص كعب الأحبار وخرافات التوراة، ولنحترم أنبياء الله تعالى.

(وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الـــهدهد أم كان من الغائبين).
يتضح من النص القرآني المعجز أن الـــهدهد إنسان عاقل، وليس عصفورًا؛ وليس هذا غريبًا، فلدينا كثير من الأشخاص بأسمـــاء حيوانـــات وطيور، مثل: صقر ونسر وأسد ونمر وفهد، ولدينا عائلة الضبع، والفار، والصرصور، والديك. وكثيرًا ما نقرأ في الجرائـــد: (صـــرح الفـــار بـــكذا وكذا). (وكان الأسد من الغائبين عن القمة)، (وتفقد الديك أوضاع الناس..)
ومما يؤكد أن الـــهدهد شخص ما يلي:
1-معلوم أن الاسم الذي يجمع جمع مذكر سالمًا نوعان: العلم والصفة. ومن شروط جمع العلم أن يكون علمًا لمذكر عاقل خاليًـــا مـــن تـــاء التأنيث الزائدة، وخاليًا من التركيب الإسنادي أو المزجي أو العددي. أما شروط جمع الصفة جمع مذكر سالمًا فهي: أن تكون صفة لمذكر عاقل خالٍ من تاء التأنيث، وألا تكون على وزن فعلان الذي مؤنثه فعلى، وألا تكون صفة للمذكر والمؤنث على حد سواء.
والمعنى من هذه التوطئة أن كلمة (الهدهد) إما أن تكون علمًا أي اسًما لشخص وإما أن تكون ذلك الطائر المعروف؛ فإذا كان علمًـــا فهـــو عاقل، وصفة هذا العاقل تجمع جمع مذكر سالمًا، فنقول: هدهد كاذب، وهذا الهدهد من الكاذبين. أما إذا كان الهدهد المقصود غير عاقل، أي أنه كان الطير المعروف، فلا يجوز أن نجمع صفته جمع مذكر سالمًا، بل تجمع جمع مؤنث سالمًا أو جمع تكسير، فنقول: هذا الهدهد من الطيـــور الكاذبات، أو من الكذبة. وعندما تحدث القرآن لعظيم عن الطير (العصافير) قال (ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء)[1] ولم يقـــل ألم تروا إلى الطير مسخرين؛ ما يؤكد أنـــه في الآية(من الغائبين) يتحدث عن أحد العقلاء. كما تكرر هذا عندما قال (سننظر أصدقت أم كنـــت من الكاذبين)فهذا خطاب للعاقل، فلو قال : سننظر أصدقت أم كنت من الطيور الكاذبة، لكان خطابا لغير العاقل.
2-إن العصافير لا تكذب، ولا تعرف الكذب. بل الإنسان العاقل هو الذي يعرف الكذب ويخطط له.
3-قول سليمان لأعذبنـــه عذابا شديدا.
لا يعقل أبدا أن يهدد نبي اللـــه بتعذيب هدهد صغير الحجم لا يحتمل صفعة تعذيبا شديدا، ألم يأمر اللـــه تعالى بالرفق بالحيوان، ونـــهى عن تعذيبـــها، ثم كيف سيعذب الـــهدهد، هل سينتف ريشه[2]؟ ثم ألا نسمي من فعل هذا مجرما لا قلب لـــه؟ فلماذا نسيء إلى أنبيائنا كما فعـــل بنو إسرائيل من قبلنا؟ ألم يحذرنا رسول اللـــه من مغبة اتباعهم؟[3]
4-أو ليأتيني بسلطان مبين
لو فرضنا أن القرآن نصّ على أن سليمان تعلم لغة العصافير من خلال قولـــه تعالى (علمنا منطق الطير)، لكنـــه لا يمكننا أن نجد أي شبـــــهة في أن هذه العصافير كانت متعلمة لغة الإنسان، أو أنـــها عاقلة. ومن هنا نتساءل: ما هو السلطان المبين الذي كان ينتظره سليمان من هـــذا العصفور المسكين؟؟ السلطان المبين معناه الحجة الواضحة البينة. وهل يتمكن هذا العصفور من هذا يا أولي الألباب؟؟
5-عندما عاد الـــهدهد من اليمن وصف لسليمان واقع أهل سبأ وصفًا لا يتمكن منـــه إلا رجل عاقل[4]؛ ولو كان هذا العصـــفور الصـــغير يعرف معنى عبادة الشمس من دون اللـــه، وحرمة ذلك، لكان مكلفًا، وهذا ما لا يقولـــه أحد، فثبت أن هذا الـــهدهد رجل؛ لأن التكليف محصور بالناس[5]. اقرأ قولـــه تعالى (إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولـــها عرش عظـــيم* وجدتـــــها وقومهـــا يســـجدون للشمس من دون اللـــه وزين لـــهم الشيطان أعمالـــهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون* ألا يسجدوا للـــــه الـــذي يخـــرج الخبـــأ في

[1] سورة :

[2] أورد السيوطي رواية باطلة في هذا الشأن تقول: "وكان عذاب سليمان للطير أن ينتفه، ثم يشمسه، فلا يطير أبدًا ويصير مع هوامّ الأرض، أو يذبحه فلا يكون لـــه نسل أبدًا" انظر: السيوطي، الدر المنثور في التفسير المأثور، دار الفكر، 1993م، ج6ص364

[3] احتج بعض من قرأ تفسير هذه الفقرة متسائلين عن إغفال ذكر (لأذبحنـــه) معتبرين إياها قطعية الدلالة في أن الـــهدهد عصفور؛ إذ لا يُعقل أن يـــذبح ســـليمان إنسانا.

قلت: لم أكن أتوقع أن أحدا يقصر الذبح على العصافير. فالحيوانات تذبح، والإنسان يذبح.. وهذه الكلمة ليست دليلا على أن الـــهدهد عصفور، ولا على أنـــــه إنسان، ولـــهذا أغفلت تفسيرها. وقد قال إبراهيم لابنه إسماعيل عليهما السلام: إني أرى في المنام أني أذبحك.

[4] قال سيد قطب: "إن نوع الإدراك الذي ظهر من ذلك الهدهد الخاص في مستوى يعادل مستوى العقلاء الأذكياء الأتقياء من الناس" وقال: "لا بد أن تكون هـــذه الهبة كانت للطائفة الخاصة التي سخرت لسليمان. لا لجميع الهداهد وجميع الطيور" انظر: قطب، في ظلال القرآن، ج5ص2636. قلت: ماذا يضير سيد قطب لـــو قال: إن هذا الهدهد رجل، بدلا من قوله: إنه هدهد خاص، عاقل، مختلف عن أقرانه؟

[5] علق البعض على هذا بقولـــهم، إن الـــهدهد هذا كان عاقلا، وكان مكلفا. فسألتـــهم: كيف نوفق بين هذا وبين حصر التكليف بالإنسان من خلال قول اللـــه تعالى (إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والإنسان فأبين أن يحملنـــها وأشفقن منـــها وحملـــها الإنسان) (الأحزاب، 73)؟ فبُـــهتوا.

من دون اللـــه وزين لـــهم الشيطان أعمالـــهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون* ألا يسجدوا للـــه الذي يخـــرج الخبـــأ في الســـماوات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون* اللـــه لا إلـــه هو رب العرش العظيم)

6-لماذا اختار سليمان هذا الـــهدهد[1] المسكين ليذهب إلى اليمن، و لم يختر نسرا؟ أو لماذا لم يختر جنًا يصل هناك بلمح البصر يا أولي النـــهى؟ فالـــهدهد ليس من الطيور المهاجرة كما هو معروف؛ فهو لا يطير إلا أمتارًا قليلة حتى يهبط، ولا شكّ أن هناك الكثير من الطيـــور الأقـــدر منـــه على هذا الدور الذي هو تعذيب لـــه، وعمل عبثي لا يقوم بـــه عاقل، وهو كالذي يملك طائرات وسيارات، واختار حمـــارا أعـــرج ليحملـــه أطنانا بين بلدين يبعدان عن بعضهما آلاف الأميال؛ فمن لا يصفه بالجنون أولا، وبالإجرام ثانيا؟

ولا شك أنـــه بقي في ذهن القارئ سؤال وهو معنى قولـــه تعالى (وتفقد الطير)، فما هم الطير؟

نقول : إن الطير لـــها معنى غير العصافير المعروفة؛ فالكلمة تطلق على الحيوانات السريعة كالخيل[2]؛ الذي يبدو كالطير لشدة سرعتـــه، كمـــا تطلق على الإنسان إذا أسرع بشيء، فقالوا: طار فلان بكذا: سبق بـــه، وطار فلان إلى كذا: أسرع إليه. وعلى هذا يمكن أن يطلق الطير على الفرسان المسرعين على ظهور الخيول السريعة. ومن المعروف أن الجيوش اليوم لديها فرق بأسماء الطيور القوية، فهناك فرقـــة النســـر، وفرقـــة العُقاب. وهنا تفقد سليمان فرقة الطير، ويمكن أن تكون فرقة التدخل السريع، وذلك لسرعة تحركها، واختفائها السريع، وخفة حركتـــها.

ولا أراني في حاجة إلى تفسير (عُلمنا منطق الطير[3])؛ لأن المنطق غير النطق، فلم يقل عُلمنا نطق الطير، أو علمنا لغة الطير... ولا يمكن أن تعني (عُلِّمنا لغة العصافير)، وذلك للأسباب التالية:

1-لا فائدة البتة من تعلم لغة العصافير، وهي نوع من العبث، والله تعالى منـــزه عن ذلك.

2- إن العصافير لـــها عشرات، بل مئات اللغات. فهل يفهم البلبل لغة النعامة أو الدجاجة؟ وهل يفهم الصقر لغة الحمامة؟ وهل لاحظ أحد حوارا بين صنفين من الطيور؟

3-لا يوجد لغة للعصافير؟ إن قاموس أي نوع منـــها لا يحوي أكثر من عشر كلمات! ماذا سيحدث البلبل زوجته أو أبناءه أو زملاءه؟ لقد عرف علماء الطبيعة كثيرًا من طرق التخاطب بين الحيوانات المختلفة، ولو أخذنا النحل على سبيل المثال لرأينا أن هناك رقصات مختلفـــة تقوم بها النحلة بحيث يفهم النحل منها بعد الرحيق وكميته. وليس للنحل اهتمامات غير ذلك، اللهم إلا التحذير من الخطر.. ولا تفهم النحل في المواضيع السياسية ولا الثقافية ولا الدينية ولا الاجتماعية.. بل إن قاموس بعض الناس غير المثقفين بسيط جدًا، ولو قمت بعدِّ الكلمات التي ينطقها عجوز لم يدخل مدرسة و لم يغادر بلده و لم يحتك بالناس، لرأيت أنها جدّ قليلة، فما بالك بكلمات عصفور صغير لا همّ له إلا أن يطعم صغاره، ويتقي شر أعدائه؟

4-إن اللـــه تعالى ذكر أن تعلم منطق الطير فضل منـــه، و لم يقل إنـــه معجزة!!(علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هـــذا لـــــهو الفضل المبين). ومن ثمَّ فلا مبرر لاعتقاد أمور خارقة لسنن الله في ذلك ما دام الأمر لا علاقة له بالمعجزة.

---

[1] قال لي أكثر من شخص: لعل الهدهد أيام نبي الله سليمان يختلف عن هدهد هذه الأيام. فقلت: إن بعثة نبي الله سليمان كانت قبل 2500سنة تقريبًا. وهذه المدة قصيرة جدًا وليست كافية لتطور أي كائن. قال سيد قطب: "وحقيقة إن الهدهد الذي يولد اليوم، هو نسخة من الهدهد الذي وجد منذ ألوف أو ملايين السنين منذ وجدت الهداهد" انظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط25، 1996، ج5ص2635

[2] أورد ابن منظور أمثلة عديدة على استعمال الطيران لغير العصافير المعروفة، مثل الحديث: ورجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه، أي يجريه في الجهاد فاستعار له الطيران. ومثل قول العنبري: طاروا إليه زرافات ووحدانًا، وقول الشاعر: وطرتُ بمنصلي في معملات. ثم علّق عليها بقوله: "فاستعملوا الطيران في غير ذي الجناح" انظر: ابن منظور، لسان العرب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1995م، ج8ص238

[3] في محاضرتي الأولى في مساق (تصميم منطق الحاسوب) لتخصصات الهندسة الكهربائية، أخذت أشرح للطلاب معنى كلمة (منطق)، ثم سألتهم أن يأتوا بآية قرآنية تذكر هذه الكلمة ومعناها، وعندما ذكروا هذه الآية، لاحظوا أن فرقًا كبيرًا بين المعنى الذي وضَّحته لهم، والمعنى التقليدي الذي يعرفونه للكلمة في هذه الآية، وعندما بيَّنتُ لهم أن كلمات أي نوع من أنواع الطيور لا تتجاوز عشر كلمات اعترض أحد الطلبة على ذلك بقوله: إن هذا (علم غيب) لا نعرفه ولا يجوز الخوض فيـــه. فقلت له: علم الغيب هو ما اختص الله تعالى بعلمه، كالملائكة والجنة والنار، أما موجودات الأرض فليست علم غيب، بل هي (علم حاضر)، وجهلك بعلم حاضر لا يجعل منه علم غيب. وعند ذلك ذكر طالبٌ آخرُ أنه شاهد برنامجًا عن الطيور صمم فيه العلماء جهازًا يبعث ترددات صوتية تشابه تلك الترددات التي يخرجها طائر ينافس غيره على أنثاه، فما كان من الطائر إلا أن هاجم الجهاز ومزَّقه. وقد علَّقت حينها بالقول: إن المعترض ظنَّ أن تفسيري لكلمة (منطق) يناقض قول الله تعالى، ومن ثمَّ فيجب ردّه، ويجب ردّ أي نظرية علمية أو أي اكتشاف علمي يتناقض مع فهمه لقول الله تعالى! وهذا لا يختلف كثيرًا عن العلماء الذين يرفضـــون كرويـــة الأرض ويصرّون على أنها منبسطة لظنهم أن آية قرآنية تقول ذلك، ولا زلنا نرى أمثال هؤلاء رغم أنهم كانوا أكثر من ذلك في بداية إثبات كروية الأرض. لذا فإن العلماء التقليديين بتفسيراتهم الخاطئة مع ادعائهم أنها قطعية يسيئون إلى الدين ويدعمون موجة الإلحاد.. وقد قلت مرارًا: لا يجدر أن نقلِّد الكنيسة في محاربتها العلم.

التفسير الصحيح:

لقد تعلم سليمان كيف يقسم الجيش إلى فرق ذات مهمات متعددة؛ بينما كانت الجيوش قبلــه لا ترتيب فيها ولا نظام يُذكر. وتمكــن مــن تأسيس جهاز عسكري أمني سريع الحركة سريع التدخل خفي وسري وخفيف في عملــه كالطير...ولماذا الإصرار علــى تفســير (الطــير) بالعصافير مع أنها عوملت معاملة العاقل؟ ولماذا الإصرار على تفسير (المنطق) باللغة مع أن الموضوع لا يتعلق بلغة ولا بنطق؟

(حتى إذا جاءوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون).

لن نذكر التفسير المتداول؛ فإن الناس يعرفونــه أكثر من معرفتــهم بأركان الإسلام!!!

وقبل التفسير الصحيح أقول : هذه ليست معجزة البتة؛ لأنــها فقدت شرط التحدي بــها. وحسب الفهم التقليدي سمع سليمان نملة صغيرة، ولم يَدْرِ بــهذا أحد غيره، فكيف تَّم التحدي بــهذا؟! ثم إن هذا العمل لم يُقصد منــه إظهار صدق نبوة سليمان عليه الســلام[1]. إنــــها ليست معجزة بالتأكيد، بل هي فضل من اللــه تعالى، حيث قال سليمان بعد سماعها(رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلــى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه)

إن الآية تتحدث عن قبيلة اسمها النمل، كانت تعيش في واد اسمه واد النمل. وهذا اسم متداول؛ ففي قريتي (كفرصور) يوجــد واد بــــهذا الاسم. واسم القبيلة متداول ومعروف، وفي (طولكرم) يوجد عائلة الضبع والفار والصرصور والخروف..أما الأدلة على هذا فهي :

1-خطاب النملة جاء في صيغة العاقل، فكلمة يا أيها ينادى بــها العاقل، أما غير العاقل فينادى بيا أيتــها.

2-واو الجماعة يخاطب بــها جمع العاقل، فقال (ادخلوا) ولو كان المخاطبون غير عاقلين لخاطبتــهن قائلة: ادخلي، كما في قولــه تعالى عن النحل غير العاقل (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا..)ولم يقل أن اتخذوا.

3-مساكنكم تعني بيوت البشر، أمّا النمل فبيوتــها تسمى الجحور، ولكل بيت حيوان اسم في لغتنا العربية.

4-لو كانت النملة تخاطب أخواتها من النملات الصغيرات لقالت: ادخلن مسكنكن (جحركن)؛ إذ إن النملات لهن جحر واحد. وحيث إن الخطاب ورد بالجمع (مساكنكم) بات واضحًا أن لكل نملة مسكنًا، وهذا يؤكد أنها منازل للبشر. إذ إن كل عائلة من البشر تعيش في مسكن منفصل عن مساكن غيرها من العائلات. ولا يُقال إن النملة كانت تخاطب عائلات عديدة من النمل، إذ إن النملة لا علاقة لهــا بالعــائلات الأخريات. ثم كيف يسمعنها؟ ثم من قال إن هنالك الكثير من المساكن للنمل في منطقة واحدة؟

5-إن النملة الصغيرة لا يمكنها تمييز الناس عن بعضهم، فلا يمكن عقلا أن تعرف أن هذا جيش سليمان أو جيش غيره.

6-ليس للنملة جهازًا صوتيًا حتى تتمكن من التعبير بهذا الشكل الجميل، والتفاهم بين النمل يتم من خلال الحركات.

7-(لا يحطمنكم). هذا اللفظ يستعمل للبيوت البشرية، وللناس، أما النملة الصغيرة المسكينة فلا تحطم، وجرب أن تدوس نملة فإنــها تقع بين تجاعيد الحذاء، ولا تتأثر. وقد استدل أصحاب التفسير المتداول من جملة(وهم لا يشعرون) على أن الجيش سيدوس النمل من دون أن يشــعر؛ وذلك لصغر النمل. ولكن الحقيقة أن ملكة لقبيلة قالت لــهم: إذا بقيتم متجمهرين هكذا فإن سليمان ســيظن أنكــم تريــدون قتالــــه، فيهاجمكم ويحطمكم وهو لا يعرف أنكم تودون مسالمتــه،فادخلوا بيوتكم علامة على جنوحكم للسلم. وقد قال رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم في فتح مكة: من دخل داره فهو آمن.

8-فتبسم ضاحكًا من قولــها: إن سماع نملة صغيرة لنبي اعتاد على هذا السماع لا يثير الابتسام قط، فهذا حدث طبيعي في حياتــــه طالمــا أنــه يعرف لغة العصافير والحشرات كلــها. ولكنــه تبسم لما وصل إلى سمعه من خلال عيونــه أن هذه القبيلة اختارت عــدم محاربتــــه، وقررت أن يدخل كل إنسان مسكنــه إعلانا للسلم، فحمد نبي اللــه ربــه أن أراحه من عناء حرب هذه القبيلة؛ كما حمد نبينا محمد عليــه أفضل الصلاة والتسليم ربــه حين نُصر بالرعب(من دون قتال) في تبوك، وقال فضلت على الأنبياء بخمس، وذكر منــها نُصرت بالرعب.

(قال يا أيها الملأ أيُّكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين*قال عفريت من الجنّ أنا آتيك بــه قبل أن تقوم من مقامك وإني عليــه لقــوي أمين* قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك بــه قبل أن يرتد إليك طرفك)

وهذه الآيات كسابقاتــها يشتــهر بين الناس تفسير لــها خاطئ لا داعي لذكره.

[1] حسب التفسير التقليدي للآية فإن هناك أمرين مخالفين لسُنَّة الله تعالى: أولهما : أن تعرف نملة اسم شخص واسم جيشه، وثانيهما: أن يسمع شخص نملةً. ولــو فرضنا،جدلاً، أن قوله تعالى (علمنا منطق الطير) أصبح يعني (علمنا لغة النمل)، فلا يمكننا أن نستدل منه على أن (النمل عُلِّمت لغة الإنسان) وصارت تميز شخصًا عن آخر.

أتى الأمر: فعلــه[1]. عرشها : العرش الذي ستجلس عليه حين يتم استقبالــها، وليس عرشها الذي في اليمن. للأدلة التالية:

1-إن الأنبياء معصومون عن الصغائر فكيف بالسرقة[2]؟! هل يمكن أن يطلب نبي اللــه من حاشيتــه أن يُحضروا عرشها غصــبا مـــن دون استئذان -إن لم نسمها سرقة- مع أنــها جاءت مسلمة خاضعة لــه (قبل أن يأتوني مسلمين).

2-إذا كان سليمان قد سخر لــه الجنّ الشبحي، وبإمكان أي منــهم أن يأتي بالعرش في لمح البصر فلماذا جمع الملأ وسألــهم جميعا؟! ولماذا لم يطلب من أحد الجنّ مباشرة أن يحضره؟!

3-لم يذكر الله تعالى أن هذه معجزة، وليس من سنة الله عز وجلّ أن يخرق العادة والمألوف لأمر ليس فيه تحدٍ لإثبات صدق نبيٍ مـــن أنبيائـــه عند تكذيب المعاندين.

4-لو سُخِّر الجنّ الشبحي لسليمان لكان إبليس-الذي يعتقد الكثير أنه من الجنّ الشبحي-مسخرًا له معهم. ولّما بحثنا فلم نجد ذكرًا له البتـــة، صار دليلاً واضحًا على أن الجنّ المقصودين هنا هم غير الجنّ الذين منهم إبليس. فالجنّ هنا هم المحترفون من الصناع، والجنّ الذي منهم إبليس هم القادة المستكبرون.

5-اختلف المفسرون في تحديد المقصود بـ(الذي عنده علم من الكتاب)، وقال كثير منهم: إنه الذي كان يعلم اسم الله الأعظـــم الـــذي إذا دعي به أجاب. وهذا القول باطل جدًا، لأنه يتضمن تفضيل رجل على نبي الله تعالى، ولأنه لا دليل عليه البتة. وكل ما قيل في تحديـــد هـــذا الرجل لا دليل عليه.

لنعد إلى التفسير الصحيح: إن كلمة عفريت مستعملة كثيرا في أدبنا وفي لغتنا اليومية، فهي تطلق على الرجل الشديد العبقري السريع...

مقامك: المكان الذي تقيم فيه، ويبدو أن سليمان عليه السلام كان يزور مناطق مملكتــه المختلفة ويقيم فيها، أو أن مقامه هنا هو المكان الذي أقام فيه ليستقبل ملكة سبأ. وليس المقصود بــها قبل أن تقف على رجليك.

الذي عنده علم من الكتاب: اختلف المفسرون فيها كثيرًا جدًا، وقال معظمهم: إن هذا رجل من البشر، وقد تفوق علـــى الجـــنّ في ســـرعة إحضار العرش؛ لأنــه يعرف اسم اللــه الأعظم. ونحن نتساءل : ألم يكن نبي اللــه يعرف اسم اللــه الأعظم حتى عرفه رجل من القـــوم؟! إنــها إساءة للأنبياء اعتادت عليها الأقوام. وهل تفوق رجل على نبي اللــه في قبول الدعاء؟ لكنــه التقليد الذي يميت العقل ويسد منافذه!

كلمة (الكتاب) تحتمل معاني عديدة جدا، فلماذا نحشرها في معنى يناقض مسلمات؟! فالرسالة تسمى كتابا، وكتاب المدرسة كذلك، والقرآن يسمى كتابا، والأمر الخطي كذلك، وفي الجامعة يعطى الطلاب الخريجون ما يسمى الكتاب السنوي، وفي وزارة المالية يوجد كتاب الميزانيـــة، أفلا يمكن أن يكون هذا الرجل هو وزير المالية الذي أشار إلى سليمان بعد أن استشاره بأن الميزانية تسمح ببناء هذا العرش العظيم الذي اقترح بناءه عفريت من الجنّ؟! أولا يمكن أن يكون شخص لديه علم بالصناعات؟!

(يرتد إليك طرفك): من المعلوم أن جفن العين يغمض، ولا يرتد ارتدادًا؛ لذا فإن التفسير التقليدي باطل. ومما يؤكد بطلانــه أن زمن الرمش أكبر من زمن وقوف الجالس، فكيف اختار سليمان الأبطأ في إحضار العرش؟!

لقد بعث سليمان الـــهدهد إلى اليمن، وكانت عودتــه متوقعة في فترة معروفة، فكان من الذي عنده علم بالكتاب أن وعد بتجهيـــز عـــرش الملكة قبل عودة هذا الرسول(الطرف).وبـــهذا سُرّ سليمان لـــهذا؛ وشكر اللـــه تعالى على أن رأى العرش جاهزًا خلال المدة المحددة، وقبـــل وصول الملكة، مع أن المدة كانت قصيرة.

(قال نَكِّروا لــــها عرشها): أي اجعلوا عرشها الذي في بلدها نكرة مقارنة بـــهذا العرش العظيم.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج1ص67

[2] علّق أحد أدعياء السلفية على هذا الجملة قائلاً: "لقد تحققت معجزة (انتقال العرش) بإذن الله من أجل إظهار قدرة الله وصدق نبوة سليمان، فهي حادثة خاصة لا يقاس عليها غيرها، كقصة الخضر الذي قتل الغلام بإذن الله، ثم من قال إن هذا العمل كان محرما في شريعة سليمان؟ وهل حرمته في شرعنا تجعله محرما في شرع من سبقنا؟" انظر: أبو عبد الله، شبهات أهل الفتنة، ص25.

قلت: لم يكن (انتقال العرش) معجزة لأسباب ثلاثة: أولها: أن الذي قام بهذا العمل شخص عنده علم من الكتاب وليس نبي الله سليمان. وثانيهـــا: لم يُقصـــد بـــه التحدي، وثالثهما: أن الله تعالى لم يذكر أن هذه معجزة، بل ذكر أن ذلك فضل منه تعالى. وقبل ذلك كله لا يوجد أي دليل أن العرش انتقل. وبالتالي فإن هـــذه ليست حادثة خاصة. ولو فرضنا، جدلا، أنها حالة خاصة لأنها معجزة، فهذا لا يعني أنه لا يُقاس عليها، وأنه يجوز فيها ارتكاب الكبائر. أما قصة الخضر فليس هـــذا مجال شرحها. أما الطامة التي وقع فيها فهي تساؤله عن دليل تحريم سرقة العرش في شريعة من قبلنا!! وقد فوجئت جدًا من هذه العبارة! وهل يُحتمل أن تكون السرقة حلالا في شريعة أنزلها الله تعالى؟ لكن أدعياء حب السلف من المشبهة والمجسمة يجوز عندهم ما لا يُعقل بحال.

(ننظر أتـــهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون): لقد خطط سليمان لـــهذا العمل ليريها أن ما وهبـــه اللــــه سليمان أعظم مما هي تتصـــور، وبالتالي لا داعي للغطرسة، أو عبادة غير اللــــه. كما أراد أن يبين لـــها أن ما تملكه من هذه الدنيا لا قيمة لـــه، وان الآخرة هي دار القـــرار؛ ويبدو أنـــها لم تتّعظ من هذه المحاولة، فقد قالت: كأنـــه هو. رغم ما بينـــهما من بون شاسع؛ فلم تكن ترضى أن تعترف بالحقيقة.

(قيل لـــها ادخلي الصرح فلما رأتـــه حسبتـــه لجة وكشفت عن ساقيها قال إنـــه صرح ممرد من قوارير).

عمل سليمان لـــها قصرًا تجري مت تحتـــه مياه، بحيث تضطر أن تمر هي من فوق الماء، لكنـــه جعل الماء يجري تحت زجاج شفاف لا يُرى؛ فعندما جاءت لم تلاحظ الزجاج فكشفت عن ساقيها حتى لا تبل ثيابـــها، ولكن سليمان أخبرها بوجود الزجاج الذي لم تلاحظه. فقالت:

(رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان للـــه رب العالمين).

حيث فهمت الدرس العظيم الذي خطط لـــه نبي اللـــه سليمان، الذي أراد أن يريها أنـــها تعبد الشمس لأنـــها تراها، ولكن يوجد خـــالق عظيم وراء هذه الشمس هو الذي يستحق العبادة رغم أنّـــها لا تراه بعينـــها؛ لكنـــها تحس بوجوده.

إن ما نُسج من أساطير حول الصرح لا أساس لـــه؛ حيث قال كثير من المفسرين : إن سليمان قد قام بـــهذا العمل حتى يكتشف فيمـــا إذا كان على سيقان الملكة شعر كثيف، وفيما إذا كان قدمها قدم حمار[1]!! معاذ اللـــه، عذرا يا نبي اللـــه، لقد هاجمك بنو إســـرائيل وقلـــدهم بعض علمائنا، وإذا لم تجد من يدافع عنك من تلك الأمة الميتة فإن الأمة الإسلامية لا ينقطع الخير منـــها؛ فهي خير أمة أُخرجـــت للنـــاس.. فأنت نبي معصوم عن تبذير المال من أجل فكرة سخيفة، وأنت أجل من أن تنظر إلى سيقان النساء، وأنت أوعى من أن تظن أن امرأة يمكن أن تكون سيقانـــها سيقان حمار، أو أن الشعر كثيف عليها.. وأنت أعلم أنـــه ينبغي أن يرسل الرجل بعض أهلـــه من النساء ليروا المـــرأة الـــتي يريد خطبتـــها، ويتعرفوا عيوبـــها..أنت نبي معصوم وليس عليك إلا البلاغ، ونحن نوقن أنك أردت أن تعلم تلك المرأة التي كانـــت تعبـــد الشمس من دون اللـــه أن اللـــه هو خالقها وهو معبودها الأوحد رغم أنـــها لا تراه بعينـــها.

(وحشر لسليمان جنوده من الجنّ والإنس والطير فهم يوزعون).

بات سهلاً تفسير الآية الآن لمن قرأ ما سبق كله. لقد كان الناس يطلقون على الغريب جنًا، ولا زالوا يطلقون على المحترف جنًا. لقد كتـــب سليمان لملك صور أن يرسل إليه مهندسين، وعددا كبيرا من العمال الذين يقطعون الخشب والحجارة؛ من أجل أن يبنوا لـــه ما يشـــاء مـــن محاريب وتماثيل وجفان وقدور راسيات.

قصة سليمان والتوراة

لا نشك لحظة في أن التوراة الحالية محرفة، لكن هناك أخبارًا لا يمكن أن تحرف أو تنسى أو تُفهم خطأً؛ ولنتخيل أن سليمان عليه السلام كـــان يملك الأشباح، وأحضر عرشًا من اليمن في لمح البصر، وأنـــه كان يتحدث مع الضباع والنمور والحشرات والحمام؛ فهل يمكن أن يترك اليهود كتابة هذه القصص المذهلة عن نبيهم وملكهم وعظيمهم؛ فيعظموا أنفسهم ويقنعوا أنفسهم والعالم أنـــهم شعب اللـــه المختار؛ بأدلة لا تقبل النقاش والجدال[2]؟! إن التوراة التي أعرف أنـــها محرفة لم تذكر شيئا مما يخطر ببال كثير من المسلمين عن سليمان، بل ذكرت قصصًا طويلـــة مملة تشرح فيها ما لخصه القرآن العظيم في سطرين اثنين! إنـــه القرآن آخر كتاب لكل البشرية...

إن التاريخ يبالغ في وصف الأحداث المثيرة، وينسج حولها الخيالات، وقد يضع المؤرخون قصصًا لا أصل لها. أمّا إهمال الإشارة إلى قصة فريدة من نوعها من قبل كتّاب التوراة، ومن قبل المؤرخين؛ وهي قصة سليمان والجن الشبحي، فلا يعقل البتة.

---

[1] قال النسفي: "وقيل إن الجن كرهوا أن يتزوجها فتفضي إليه بأسرارهم؛ لأنها كانت بنت جنية. وقيل: خافوا أن يولد له منها ولد فيجمع فطنة الجـــن والإنـــس، فيخرجون من ملك سليمان إلى ملك هو أشد، فقالوا له: إن في عقلها شيئًا، وهي شعراء الساقين، ورجلها كحافر حمار. فاختبر عقلها بتنكير العرش، واتخذ الصرح ليعرف ساقها ورجلها، فكشفت عنهما فإذا هي أحسن الناس ساقا وقدما، إلا أنها شعراء فصرف بصره" انظر: تفسير النسفي، ج3ص214. وانظر: الرازي، التفسير الكبير، ج24ص201. وانظر: تفسير أبي السعود، ج4ص134

[2] إذا انفرد راوٍ برواية حديث مما تَعُمُّ به البلوى؛ أي مما لو صحّ لنقله كثير من الناس، إما لأهميته وحيويته، وإما لغرابته، فإن كثيرا من الفقهاء يضعف روايـــة هـــذا الراوي. فما بالنا هنا نقبل تفسيرا يتعارض مع اللغة العربية، ويتعارض مع التاريخ، ويتعارض مع العقل الذي يؤكد أن شيئا من هذا لو حدث لنقله المؤرخون وكتبة التوراة.. بل إننا لم نسمع عن علاقة الجن الشبحي مع سليمان إلا من خلال تفسير هذه الآيات. فهل يُعقل أن ينسى التاريخ هذه الحكاية المثيرة؟ وهل يُعقل أن ينسى كتبة التوراة هذا الحدث الذي يجعل نبيهم أفضل أنبياء الله على الإطلاق؟

ولا يجدر أن يُلتفت لقول من يظن أن في قولنا هذا تقديمًا للتوراة المحرفة أو التاريخ غير الموثوق به على القرآن العظيم.. معاذ الله من هذا الظن! كل ما في الأمر أننـــا قدمنا القرآن الكريم واللغة العربية والتاريخ والعقل على تفسيرات خاطئة متناقضة لآيات عظيمة مُعَبِّرة مليئة بالحكم وملخصة لتاريخ، ومبينة لحِكَمٍ وأحكام قيمة.

ومما ورد في التوراة حول هذا الموضوع ما جاء في الإصحاح الخامس في سفر الملوك الأول: "وأرسل حيرام ملك صور عبيده إلى سليمان.." ثم ذكر عدد العمال بأصنافهم وأعمالـــهم... وفي الإصحاح السادس وصف طويل مُمِلّ لبيت الرب الذي بناه.ثم يكمل عـــن ســـليمان إلى أن يصل الإصحاح العاشر حيث تبدأ قصة ملكة سبأ..وكل هذه الإصحاحات تضم قصصًا يصعب استيعابـــها لطولـــــها وقلـــة فائدتـــــها؛ لكنـــها لا تحوي ما يظنـــه كثير من الناس من أساطير.

الاعتراض الخامس: الشياطين التي أمرنا بالاستعاذة منها هم كفرة الجن

قالوا: إن حديث القرآن المستفيض عن الشياطين يؤكد وجود عالَم الجن المنفصل عن عالَم الناس، وإن نفي الجن يعني نفي الشيطان، وبالتـــالي إنكار عشرات الآيات القرآنية، وهذا كفر بواح.

مناقشة هذا الاعتراض: ما هو **الشياطين؟**

10 *المعنى اللغوي لكلمة (شيطان)*

قال محمد منير إدلبي: "إن كلمة شيطان أصيلة في اللغة العربية التي اشتملت على كل جذر يتفرع منه لفظ شيطان، على أي احتمال وكل تقدير، إذ إن فيها مادة شطَّ وشاط وشوط وشطن. وفي هذه المواد معاني البعد والضلال والتلـــهب والهـــلاك والاحتراق، وهي تستوعب أصول المعاني التي تفهم من كلمة الشيطان جميعها.

فالشطط: من الغلو الذي يدخل في أخص عناصر الشيطنة.

والشط: بمعنى الجانب المقابل، وقد تلحظ في مقابل الخير بالشر من جانب الشيطان.

وشاط: بمعنى احترق وتلف، وأشاطه بمعنى أهلكه وأتلفه، وشاط تعني: انطلق شوطًا أي ابتعد واندفع في مجراه.

وشطن: أي ابتعد فهو شيطان على صيغة فيعال.

وقد كان العرب يسمون الثعبان الكبير بالشيطان، وقيل في بعض التفاسير: إن هذا هو المقصود من قوله تعالى (طلعها كأنه رؤوس الشياطين)"[1]. وتابع قائلاً: "ولذلك فقد أخطأ كثير من الناس حين أصرّوا على الأخذ بمعنى واحد للفظة (الشيطان)

20 في كل موضع ذُكرت فيه في القرآن الكريم، معتبرين أنها تعني–دائمًا–الشيطان الشبح الخفي–على حد زعمهـــم– والـــذي يتلاعب بالإنسان كما يشاء ويهوى"، وقد فنّد إدلبي التفسير التقليدي بقوله: "إن القرآن الكريم في حديثه عـــن الشـــيطان الرجيم إنما يتحدث عن واقع حقيقي مُشاهد وملموس لا خفاء فيه ولا خرافة ولا خيال. ويمكننا الاطمئنان إلى هذا الفهـــم حين نلاحظ أن لفظة الشيطان لا تحتوي في أي جذر من جذورها المشتقة منها على أي غيب أو خفاء"[2]

وردت كلمة (شيطان) في القرآن الكريم70 مرة، في 63 آية، وهاكم الآيات:

(البقرة: 37)، (البقرة: 169)، (البقرة: 209)، (البقرة: 269)، (البقرة: 276)، (آل عمـــران: 37)، (آل عمـــران: 156)، (آل عمران: 176)، (النساء: 39)، (النساء: 61)، (النساء: 77)، (النساء: 84)، (النساء: 118)، (النســـاء: 120)، (النساء: 121)، (المائدة: 91)، (المائدة: 92)، (الأنعام: 44)، (الأنعام: 69)، (الأنعام: 143)، (الأعـــراف: 21)، (الأعراف: 23)، الأعراف: 28)، (الأعراف: 176)، (الأعراف: 201)، (الأعراف: 202)، (الأنفـــال: 12)، (الأنفال: 49)، (يوسف: 6)، (يوسف: 43)، (يوسف: 101)، (إبـــراهيم: 23)، (الحجـــر: 18)، (النحـــل: 64)،

30 (النحل: 99)، (الإسراء: 28)، (الإسراء: 54)، (الإسراء: 65)، (الكهف:64)، (مريم: 45)، (مـــريم: 46)، (طـــه: 121)، (الحج: 4)، (الحج: 53)، (الحج: 54)، (النور: 22)، (الفرقـــان: 30)، (النمـــل: 25)، (القصـــص: 16)،

[1] ادلبي، أبناء آدم من الجن والشياطين، ص220

[2] المرجع السابق، ص221

(العنكبوت: 39)، (لقمان: 22)، (فاطر: 7)، (يس: 61)، (الصافات: 8)، (ص: 42)، (فصلت: 37)، (الزخرف: 37)، (الزخرف: 63)، (محمد: 26)، (المجادلة: 11)، (المجادلة: 20)، (الحشر: 17)، (التكوير: 26)

وردت كلمة (شياطين) في القرآن الكريم 18 مرة، في 17 آية، وهاكم الآيات:

(البقرة: 15)، (البقرة: 103)، (الأنعام: 72)، (الأنعام: 113)، (الأنعام: 122)، (الأعراف: 28)، (الأعراف: 31)، (الإسراء: 28)، (مريم: 69)، (مريم: 84)، (الأنبياء: 83)، (المؤمنون: 98)، (الشعراء 211)، (الشعراء: 222)، (الصافات: 66)، (ص: 38)، (الملك: 6)

معلوم عند كثير من الناس أن الشياطين هم الكفرة من الجنّ الشبحي، أي أن الشياطين أشباح كافرة، خلقها الله تعالى لتوسوس للناس، وهذه الوسوسة غير معلومة بدقة، المهم أن لهذه الأشباح الشيطانية مقدرة على التأثير على العقل الإنساني من خلال تزيين الشر له، وإغرائه لفعله.

وسنثبت أن الشيطان غير ذلك، بدليلين:

الدليل الأول: أن المفهوم التقليدي لا دليل عليه سوى الأوهام وتفسيرات خاطئة لبعض الآيات، وأن الصفات التي وصف بها الشيطان في القرآن المجيد، والأعمال التي يقوم بها، هي ذاتها الأعمال التي يقوم بها كثير من الكفرة، وأعداء الإسلام ومحاربوه، كما تقوم بها النفس الأمارة بالسوء. وها هي الآيات القرآنية تبيِّنُ ذلك من خلال مقارنات بين أعمال الشياطين وأعمال الكفرة من البشر والنفس الإنسانية:

1- الشيطان يوسوس، والنفس توسوس:

قال تعالى (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) (ق: 17)

وقال تعالى (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَاآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى(طه: 121)

2-الشيطان يسول للناس، والنفس تسول:

قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ(محمد: 26)

وقال تعالى (قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي(طه: 97)، وقال تعالى (وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ(يوسف: 19)، وقال تعالى (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ(يوسف: 84)

3-الشيطان يكيد، والكافرون يكيدون، وأخوة يوسف كادوا له، وامرأة العزيز وصاحباتها كدن له، والساحر يكيد...

قال تعالى (الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا(النساء: 77)

وقال تعالى (ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ(الأنفال: 19)[1]

4-الشيطان يصد عن ذكر الله وعن الصلاة، والذين كفروا كذلك، وبعض أهل الكتاب يصدون عن سبيل الله، والمنافقون يصدون عن رسول الله.

قال تعالى (وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ(العنكبوت: 39)

[1] وانظر الآيات: (يوسف: 6)، (يوسف: 29)، (يوسف: 34)، (يوسف: 51)، (يوسف: 53)، (طه: 70)، (غافر: 26)، (غافر: 38)، (الفيل: 3)

وقال تعالى (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ(النحل: 89)، وقال تعالى (قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ(آل عمران: 100)، وقال تعالى (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا(النساء: 62)

5-الشيطان يفتن بني آدم، وفرعون فتن قومه، والكفار فتنوا أنفسهم، وأعداء التوحيد والأنبياء فتنوا المؤمنين والمؤمنات.

قال تعالى (يَابَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنْ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ(الأعراف: 28)

وقال تعالى (فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ(يونس: 84)، وقال تعالى (يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ(الحديد: 15)، وقال تعالى (الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ(البروج: 11)، وقال تعالى (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ(المائدة: 50)

7-الشيطان يغوي والكفار يغوون.

قال تعالى (قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ(القصص: 64)

وقال تعالى (فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ(الصافات: 33)، وقال تعالى (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(ص: 83)، وقال تعالى (قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ(الحجر: 40).

8-الشيطان يأمر بالسوء والفحشاء، والنفس أمارة بالسوء.

قال تعالى (إنما يأمركم بالسوء والفحشاء)

وقال تعالى (إن النفس لأمار بالسوء)

الدليل الثاني: في ما يلي بعض الآيات القرآنية التي وصفت بعض الشخصيات بأنهم شياطين لأعمالهم الضلالية والتضليلية.

1-قال تعالى (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ)(البقرة: 15).

فهؤلاء المنافقون إذا لاقوا المسلمين قالوا: إننا مسلمون مثلكم، وإذا انفردوا مع (اليهود) قالوا: إننا نخدع المسلمين ونستهزئ بهم، فلسنا مسلمين، إنما أظهرنا لهم الإسلام فقط. أي أن (شياطينهم) هم اليهود.

2-وَقال تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ(الأنعام: 113). تؤكد الآية أن هناك شياطين من العوام يتعاونون مع شياطين من الزعماء لمعاداة أي نبي.

3-وَقال تعالى (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ(الأنفال: 49). تتحدث الآية عن سراقة بن مالك بن جعشم زعيم بني بكر الذي عاهد قريشًا على القتال معهم ضد المسلمين، بيد أنه خذلهم لمّا رأى المسلمين يطلبون الموت أو الشهادة، فقال: إني أرى ما لا ترون، وادّعى أنه يخاف الله ليبرر هروبه من المعركة وعدم مشاركته.

[1] وانظر الآيات: (النساء: 56)، (المائدة: 92)، (الزخرف: 63)، (محمد: 2)

4–وَقال تعالى (وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(إبراهيم: 23)

5–وَقال تعالى (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)(الحشر: 17).

علاقة إبليس بالشيطان

وردت كلمة (إبليس) في القرآن المجيد 11 مرة، وهاكم الآيات التي وردت فيها:

(البقرة: 35)، (الأعراف: 12)، (الحجر: 32)، (الحجر: 33)، (الإسراء: 62)، (الكهف: 51)، (طه: 117)، (الشعراء: 96)، (سبأ: 21)، (ص: 75)،(ص: 76).

ويلاحظ أن إبليس في 9 مواقع منها هو ذلك المخلوق الذي رفض السجود لآدم، حيث تتكرر قصته في السور السابقة، إلا في موقعين اثنين منها حيث ذكرت كلمة (إبليس) من دون أن يكون الحديث عن قصة آدم، والآيتان هما: (الشعراء: 96)، (سبأ: 21)، ففي الأولى يقول تعالى (فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعون قالوا وهم فيها يختصمون)، وفي الآية الثانية يقول تعالى (ولقد صدَّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقًا من المؤمنين). فالآية الأولى تتحدث عن أن الضالين والمضلين هو وقود النار، أما الثانية فتؤكد معنى الآية (لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين).

ومن هنا فإبليس غير الشيطان في القرآن الكريم، وعندما نقرأ قصة آدم نلاحظ أن الذي رفض السجود لآدم هو إبليس، بينما الذي أزَّلَّه وأغواه وسبب له الخروج من الجنّة هو الشيطان، وإليكم بعض الشواهد:

الآيات التي تذكر رفض إبليس السجود لآدم هي: (فسجدوا إلا إبليس)(البقرة: 35، 37) (فسجدوا إلا إبليس)(الأعراف: 12، 21)(فسجدوا إلا إبليس)(طه: 117، 121)

"واختلاف الكلمتين في كل مرة لا يخلو من حكمة، والقرآن الكريم يراعي الحكمة في كل كلمة من كلماته، فمن المستحيل أن يكون الاختلاف بين الكلمتين فيه من دون حكمة..فلزم أن يكون الممتنع عن السجود هو غير الذي حاول الإغواء.. ولذلك أطلق على الأول اسم: إبليس، وعلى الثاني اسم: الشيطان"[1]. وسنتحدث عن إبليس فيما بعد.

الاعتراض السادس: سورة الجن

قالوا: هناك سورة كاملة تتحدث عن نفر من الجن جاءوا فاستمعوا القرآن من رسول الله ε، وآمنوا، ثم ذهبوا إلى قومهم وأنذروهم. وإن نفي الجن يعني الكفر بهذه السورة.

مناقشة هذا الاعتراض

إن النفر من الجنّ الذين ذكروا في سورة الجنّ هم من بني آدم، كما يتضح من خلال الأحاديث النبوية التي تصف مجيئهم خفية، وتصف مكان نارهم وخيلهم؛ ولو كانوا جنًا شبحيًا لا يُرى بالعين المجردة لأتوا واستمعوا القرآن من دون أن يشعر بهم أحد، ولم يكن أي مبرر ليجتمعوا برسول اللهεخارج مكة ليلاً، بل إن في هذه القصة دليل قائم بذاته على تفسير الجن بمن يأتي خفية.

والأدلة على ذلك من السنة ومن العقل كما يلي:

1–قوله صلى الله عليه وسلم : "أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ"[2]

[1] ميرزا بشير الدين محمود أحمد، التفسير الكبير، ج1ص193

[2] صحيح مسلم، كتاب الصلاة

ولو كان هؤلاء أشباحًا ما أتوا طالبين منه أن يذهب معهم، ولما ذهب معهم. فهذا يؤكد أنهم بشر جاءوا مستترين.

2-قول الراوي وهو عبد الله بن مسعود: "فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ "[1]، إذ لو كانوا أشباحًا ما بقي لهم أثر، ولما كانوا قد أوقدوا نارًا. بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذهم ليريهم آثار هؤلاء الناس الذين جاءوا مستترين، حيث كانوا قد أوقدوا نارًا ليطبخوا أو طلبًا للدفء.

3-شبَّه الرسول صلى الله عليه وسلم الجنّ الذين قابلهم في هذه الحادثة -وقد كانوا من نصيبين- بالزُّطّ، والزُّطّ هم أناس سود تُنسب إليهم الثياب الزّطّية، وقيل هم جيل من الهند، وقيل من السودان[2]. وقد ورد هذا في رواية في مسند أحمد عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْجِنِّ خَطَّ حَوْلَهُ فَكَانَ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ مِثْلُ سَوَادِ النَّخْلِ وَقَالَ لِي لا تَبْرَحْ مَكَانَكَ فَأَقْرَأَهُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَمَّا رَأَى الزُّطَّ قَالَ كَأَنَّهُمْ هَؤُلاءِ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَعَكَ مَاءٌ قُلْتُ لا قَالَ أَمَعَكَ نَبِيذٌ قُلْتُ نَعَمْ فَتَوَضَّأَ بِهِ[3]

4- أخرج الإمام أحمد في مسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ وَهُوَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِذْ قَالَ لِيَقُمْ مَعِي رَجُلٌ مِنْكُمْ وَلا يَقُومَنَّ مَعِي رَجُلٌ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْغِشِّ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ قَالَ فَقُمْتُ مَعَهُ وَأَخَذْتُ إِدَاوَةً وَلا أَحْسَبُهَا إِلا مَاءً فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِأَعْلَى مَكَّةَ رَأَيْتُ *أَسْوِدَةً مُجْتَمِعَةً* قَالَ: فَخَطَّ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا ثُمَّ قَالَ قُمْ هَاهُنَا حَتَّى آتِيَكَ قَالَ: فَقُمْتُ وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ *فَرَأَيْتُهُمْ يَتَثَوَّرُونَ* إِلَيْهِ قَالَ: فَسَمَرَ *مَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلاً طَوِيلاً* حَتَّى جَاءَنِي مَعَ الْفَجْرِ فَقَالَ لِي: مَا زِلْتَ قَائِمًا يَا ابْنَ مَسْعُودٍ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَلَمْ تَقُلْ لِي قُمْ حَتَّى آتِيَكَ؟ قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي: هَلْ مَعَكَ مِنْ وَضُوءٍ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: نَعَمْ. فَفَتَحْتُ الْإِدَاوَةَ فَإِذَا هُوَ نَبِيذٌ. قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَخَذْتُ الْإِدَاوَةَ وَلا أَحْسَبُهَا إِلا مَاءً فَإِذَا هُوَ نَبِيذٌ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَمْرَةٌ طَيِّبَةٌ وَمَاءٌ طَهُورٌ قَالَ: ثُمَّ تَوَضَّأَ مِنْهَا فَلَمَّا قَامَ يُصَلِّي *أَدْرَكَهُ شَخْصَانِ مِنْهُمْ* قَالا لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نُحِبُّ أَنْ تَؤُمَّنَا فِي صَلاتِنَا قَالَ: *فَصَفَّهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْفَهُ ثُمَّ صَلَّى بِنَا* فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ لَهُ: مَنْ هَؤُلاءِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: هَؤُلاءِ جِنُّ نَصِيبِينَ جَاءُوا يَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ فِي أُمُورٍ كَانَتْ بَيْنَهُمْ...[4]

من خلال الجمل المائلة يتضح أن هؤلاء بشر وليسوا أشباحًا، فهم1- مثل الأسودة المتجمعة، 2-وسمر معهم الرسول صلى الله عليه وسلم، 3-وأدركه منهم شخصان صلوا معه، 4-وصفهما خلفه. وهذه كلها صفات بشر، حيث رأى ذلك كله ابن مسعود، والأشباح-إن وجدت- لا تُرى.

5-وصف الجنُّ القرآنَ بأنه يهدي إلى الرشد، وهذا يتضمن أنهم سيتبعونه ويلتزمون أحكامه. ولو كانت أحكامه لا تخصهم ما وصفوها هذا الوصف، وحيث ثبت أن أحكام القرآن خاصة بالبشر، قلنا -ونحن متيقنون- أن هؤلاء بشر، وليسوا عالَما آخر.

6-ما دام هذا الجنّ الشبحي قد آمن، فلماذا لم يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، رغم أنه مكلف وأن الله تعالى قال(انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله)؟ أو على الأقل لماذا لم يساعد رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم في تخليصه من سحر لبيد بن الأعصم الذي سحره بمساعدة الجنّ الكافر؟! أو لماذا لم يعمل رسولنا الكريم على استشارتهم في شيء مما يتقنونه على اعتبار أنهم كانوا من أتباعه المؤمنين به؟ أم أنهم ليسوا مطالبين بالشريعة؟

الاعتراض السابع: تشكل الجن بأفعى

قالوا: ثبت في الحديث الذي رواه مسلم أن الجن يتشكل بأفعى، وأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدم قتلها إلا بعد استحلافها ثلاثًا، وفي هذا دليل على وجود الجن أولا، ودليل على تشكله ثانيًا.

مناقشة هذا الاعتراض

يعتقد بعض المسلمين أن الجن الشبحي يتشكل ليصبح أفعى تسكن البيوت، وإذا قام رجل بقتل هذه الأفعى فإن أقارب الجن المتشكل بها سرعان ما ينتقمون من قاتل الأفعى، ويقتلونه.

---

[1] المرجع السابق

[2] لسان العرب

[3] مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة

[4] مسند أحمد، 4150

ولا شك أنهم يستدلون ببعض المرويات على هذا الأمر، بيد أن هناك أحاديث نبوية واضحة الدلالة وطرق أسانيدها متعددة وعن طريق الثقات توجب قتل كل أفعى حتى في الحرم المكي.

ومن هنا فإن هذه الرواية التي تفيد النهي عن قتل أفاعي البيوت شاذة، لمخالفتها روايات كثيرة جاءت من طرق صحيحة. وسنبين هذه الطرق. لكن يجدر قبل ذلك أن ندحض هذا التصور من ناحية عقلية.

أولاً: لو كانت الأفاعي الموجودة في المنازل يُحتمل أن تكون جنًا شبحيًا لبيَّن لنا القرآن ذلك، أو على الأقل لبيَّنَ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك، وَلَنُقِلَ عنه ذلك بطرق كثيرة، لكن عكس ذلك هو الحاصل.

ثانيا: لو فرضنا أن الجن يتشكل بأفعى، وحاول إنسان قتله، فلا نرى مبررًا له للبقاء ساكنًا من دون حراك، ومن دون أن يعود إلى طبيعته فيهرب من هذا الإنسان، ولا يصفو لأحد أن يقول: إن الإنسان يأتي الجن على حين غفلة، فلا يكاد يجد الجن وقتًا للعودة إلى أصله، لا يصفو ذلك لأنهم يقولون إنّ أقارب الجن سرعان ما يقتلون القاتل من الإنس، فكيف عرفوا بهذه السرعة، بينما لم يلاحظ الجن المتشكل بأفعى هذا؟ وإذا افترضنا أن الجن كانوا على هيئتهم الأصلية، وأن الجن عندما يتحول إلى أفعى يصبح كسولا غير قادر على الحركة السريعة، فلماذا يتحول إذا؟ ولماذا يعرض نفسه للخطر الرهيب؟

ثالثًا: ما ذنب الإنسان المسكين الذي حاول طرد الأفعى، فقتل؟

رابعًا: إن هذا لو صح لكان تلبيسًا ما بعده تلبيس. وبإمكان أي شخص أن يقتل شخصًا، ثم يأتي بأفعى مقتولة ويقول: إن المقتول عاقبه الجن على قتله الأفعى المتحولة جنًا. وتخيل كم قصة تلبيسية يمكن أن تنشأ جرّاء ذلك.

خامسًا: إن غالبية الناس يخافون الأفاعي خوفًا عظيمًا، بل إن النساء تخاف من الصراصير، وهن اللاتي يمكثن في البيوت الوقت الأطول، فمن منهن لها القدرة على استحلاف الأفعى ثلاثًا؟ أليس هذا تكليفًا بما لا يستطاع؟

سادسًا: لا يخلو الجن المتشكل بأفعى من أن يكون مسلمًا أو كافرًا، فإذا كان مسلمًا فلا يمكن أن يقتل أقاربه الإنسان المسلم الذي قتله ظانًا أنه أفعى، فالقتل من الكبائر. أما إذا كان كافرًا وبإمكانه أن يقتل قاتله من البشر المسلمين، فلماذا لا يقوم بقتل المسلمين عن بكرة أبيهم ليسود الكفرُ العالَمَ؟!

سابعًا: وردت روايات توجب قتل كل كلب أسود، لأنه شيطان، أي أن الجن تشكل بهيئة كلب أسود، وهذا يوجب قتله حسب هذه الروايات، والمعنى أن هناك تناقضًا واضحًا بين الروايات التي تمنع قتل الأفعى، والروايات التي توجب قتل الكلب الأسود، باعتبار أن كلا منهما جن قد تشكل بهذا الشكل.

أما من ناحية السند فإن هذه الرواية باطلة للأدلة التالية:

1-لو كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد نهى عن قتل أفاعي البيوت بحجة أن الجن يمكن أن يكون قد تشكل بأفعى، لعلمت بذلك زوجاته، وعائشة بالذات، لكننا نراها تروي حديثًا مناقضًا لهذه الرواية.

فقد روى مسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِي اللهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ خَمْسٌ فَوَاسِقُ يُقْتَلْنَ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ الْحَيَّةُ وَالْغُرَابُ الأَبْقَعُ وَالْفَأْرَةُ

وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ وَالْحُدَيَّا[1]

وروى النسائي عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ خَمْسٌ يَقْتُلُهُنَّ الْمُحْرِمُ الْحَيَّةُ وَالْفَأْرَةُ وَالْحِدَأَةُ وَالْغُرَابُ الابْقَعُ وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ[2]

وروى عنها النسائي النص ذاته من طريق إسحق بن إبراهيم عن النضر بن شميل عن شعبة بإسناده.

وروى عنها ابن ماجة بسند آخر قال: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ قَالُوا حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ سَمِعْتُ قَتَادَةَ يُحَدِّثُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: خَمْسٌ فَوَاسِقُ يُقْتَلْنَ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ الْحَيَّةُ وَالْغُرَابُ الأَبْقَعُ وَالْفَأْرَةُ وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ وَالْحِدَأَةُ[3]

---

[1] صحيح مسلم، كتاب، 2069

[2] النسائي، كتاب مناسك الحج، 2780

[3] ابن ماجة، كتاب المناسك، 3078

ورواه بإسناد آخر تحت رقم 3524. ورواه أحمد بإسناد آخر عن عائشة تحت رقم 22883، وبإسناد آخر تحت رقم 23086، و23121، و23520. ففي هذه الروايات كلها لم تذكر عائشة أن ثمة أنواع من الأفاعي لا يجوز قتلها إذا كانت في البيوت، بل إنها روت أمرًا بقتل الأفاعي التي في الحرم وفي غيره.

وروى البخاري في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِ الأَبْتَرِ وَقَالَ إِنَّهُ يُصِيبُ الْبَصَرَ وَيُذْهِبُ الْحَبَلَ [1].

كما روى عنها من طريق آخر قَالَتْ: قَالَ: النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اقْتُلُوا ذَا الطُّفْيَتَيْنِ فَإِنَّهُ يَلْتَمِسُ الْبَصَرَ وَيُصِيبُ الْحَبَلَ[2]

وروى عنها مسلم من طريق آخر قَالَتْ: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِ ذِي الطُّفْيَتَيْنِ فَإِنَّهُ يَلْتَمِسُ الْبَصَرَ وَيُصِيبُ الْحَبَلَ و حَدَّثَنَاه إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ أَخْبَرَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ أَخْبَرَنَا هِشَامٌ بِهَذَا الإِسْنَادِ وَقَالَ الأَبْتَرُ وَذُو الطُّفْيَتَيْنِ[3]

وفي هذا الإسناد لم تذكر عائشة حرمة قتل نوع من الأفاعي. وهناك روايات عديدة وبأسانيد متعددة عن عائشة رضي الله عنها.

2-الروايات عن أبي هريرة بأسانيد عديدة توجب قتل الأفاعي جميعها.

فقد روى أبو داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اقْتُلُوا الأَسْوَدَيْنِ فِي الصَّلاةِ الْحَيَّةَ وَالْعَقْرَبَ[4]

وروى عنه أبو داود بإسناد آخر أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ خَمْسٌ قَتْلُهُنَّ حَلالٌ فِي الْحُرُمِ الْحَيَّةُ وَالْعَقْرَبُ وَالْحِدَأَةُ وَالْفَأْرَةُ وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ [5]، وبإسناد آخر قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا سَالَمْنَاهُنَّ مُنْذُ حَارَبْنَاهُنَّ وَمَنْ تَرَكَ شَيْئًا مِنْهُنَّ خِيفَةً فَلَيْسَ مِنَّا[6]

وروى ابن ماجة بإسناده عن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِقَتْلِ الأَسْوَدَيْنِ فِي الصَّلاةِ الْعَقْرَبِ وَالْحَيَّةِ[7]

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا سَالَمْنَاهُنَّ مُنْذُ حَارَبْنَاهُنَّ يَعْنِي الْحَيَّاتِ[8]

فإذا أمرنا الرسول ε بقتل الأفاعي حتى لو كنا في الصلاة، فمن باب أولى أمرنا بقتلهن ونحن في غير صلاة. ولم يذكر أبو هريرة في أي من رواياته حرمة قتل نوع من الأفاعي.

3- ما روي عن عبد الله بن مسعود.

فقد روى البخاري عنه ذلك بأسانيد مختلفة، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ وَالْمُرْسَلاتِ وَإِنَّا لَنَتَلَقَّاهَا مِنْ فِيهِ فَخَرَجَتْ حَيَّةٌ فَابْتَدَرْنَاهَا فَسَبَقَتْنَا فَدَخَلَتْ جُحْرَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُقِيَتْ شَرَّكُمْ كَمَا وُقِيتُمْ شَرَّهَا[9]

كما روى البخاري عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَارٍ بِمِنًى إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِ وَالْمُرْسَلاتِ وَإِنَّهُ لَيَتْلُوهَا وَإِنِّي لأَتَلَقَّاهَا مِنْ فِيهِ وَإِنَّ فَاهُ لَرَطْبٌ بِهَا إِذْ وَثَبَتْ عَلَيْنَا حَيَّةٌ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اقْتُلُوهَا فَابْتَدَرْنَاهَا فَذَهَبَتْ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُقِيَتْ شَرَّكُمْ كَمَا وُقِيتُمْ شَرَّهَا[10]

4- ما روي عن ابن عمر.

روى مسلم في صحيحه عَنْ زَيْدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ عُمَرَ: مَا يَقْتُلُ الرَّجُلُ مِنَ الدَّوَابِّ وَهُوَ مُحْرِمٌ؟ قَالَ حَدَّثَتْنِي إِحْدَى نِسْوَةِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِقَتْلِ الْكَلْبِ الْعَقُورِ وَالْفَأْرَةِ وَالْعَقْرَبِ وَالْحُدَيَّا وَالْغُرَابِ وَالْحَيَّةِ قَالَ وَفِي الصَّلاةِ أَيْضًا[11]

5-ما روي عن العباس.

---

[1] البخاري، كتاب بدء الخلق، حديث 3064

[2] البخاري، كتاب بدء الخلق، 3063

[3] صحيح مسلم، كتاب السلام، 4139

[4] أبو داود، كتاب، 786

[5] أبو داود، كتاب، 1573

[6] أبو داود، كتاب، 4568

[7] ابن ماجة، كتاب إقام الصلاة، 1235

[8] مسند أحمد، 7062

[9] البخاري، كتاب تفسير القرآن، 4549

[10] البخاري، الحج، 1699

[11] صحيح مسلم، 2076

فقد روى أبو داود عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّا نُرِيدُ أَنْ نَكْنُسَ زَمْزَمَ وَإِنَّ فِيهَا مِنْ هَذِهِ الْجِنَّانِ يَعْنِي الْحَيَّاتِ الصِّغَارَ فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِهِنَّ[1]

ومع هذه الروايات كلها ومع قوتها سندًا ومتنًا، ومع استحالة أن يخفى حكم المنع من قتل الأفاعي في البيوت على أزواج النبي وكبار الصحابة، فإن بعض الناس لا يحلو لهم إلا رواية أبي لبابة في المنع من قتل (ذوات البيوت). ومع ذلك فلم يرو أبو لبابة وجوب استحلافها ثلاثًا. ويصرون على رواية أبي سعيد الخدري التي نصت الاستحلاف، ورواية أخرى جاءت من طريق سائبة مولاة الفاكه بن المغيرة عن عائشة.

أما أبو لبابة فرغم أنه صحابي جليل، لكنه خالف من هو أوثق منه وأضبط من الصحابة الذين ذكرناهم، فأبو لبابة لم يرو إلا أربعة أحاديث هذا أحدها، والثلاثة الباقية انفرد بها كذلك[2].

أما حديث سائبة مولاة الفاكه بن المغيرة عن عائشة فلا يُعتد به لأنه ورد في رواية نهيٌ عن قتل الأفاعي، وفي رواية أخرى ورد أمرٌ بقتلها من دون ذكر لاستثناء[3].وسائبة مجهولة لا تُعرف، حيث لم يوثقها إلا ابن حبان. كما أن سائبة لم ترو غير هذه الرواية إلا رواية خرافية واحدة انفرت بها[4].

ويبدو أن الجان (الحية) التي نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن قتلها–إن صحت الرواية–هي نوع خاص لا علاقة له بالجن والأشباح والعفاريت، فقد روى أبو داود عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ اقْتُلُوا الْحَيَّاتِ كُلَّهَا إِلا الْجَانَّ الأَبْيَضَ الَّذِي كَأَنَّهُ قَضِيبُ فِضَّةٍ قَالَ أَبو دَاود فَقَالَ لِي إِنْسَانٌ الْجَانُّ لا يَنْعَرِجُ فِي مِشْيَتِهِ فَإِذَا كَانَ هَذَا صَحِيحًا كَانَتْ عَلامَةً فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ[5]

وقد بين عبد الله بن البارك شيئا من هذا القبيل كما في الرواية التي أخرجها الترمذي عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اقْتُلُوا الْحَيَّاتِ وَاقْتُلُوا ذَا الطُّفْيَتَيْنِ وَالأَبْتَرَ فَإِنَّهُمَا يَلْتَمِسَانِ الْبَصَرَ وَيُسْقِطَانِ الْحُبْلَى قَالَ وَفِي الْبَاب عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَعَائِشَةَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَسَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ أَبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِي لُبَابَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ قَتْلِ جِنَّانِ الْبُيُوتِ وَهِيَ الْعَوَامِرُ وَيُرْوَى عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنْ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ أَيْضًا و قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ إِنَّمَا يُكْرَهُ مِنْ قَتْلِ الْحَيَّاتِ قَتْلُ الْحَيَّةِ الَّتِي تَكُونُ دَقِيقَةً كَأَنَّهَا فِضَّةٌ وَلا تَلْتَوِي [6]فِي مِشْيَتِهَا[7]

أما الروايات التي جاءت من طريق صيفي عن أبي السائب عن أبي سعيد الخدري، وفيها: (إِنَّ لِبُيُوتِكُمْ عُمَّارًا فَحَرِّجُوا عَلَيْهِنَّ ثَلاثًا فَإِنْ بَدَا لَكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُنَّ شَيْءٌ فَاقْتُلُوهُنَّ)[8]، أو من طريق ابن أبي ليلى(أَنْشُدُكُنَّ الْعَهْدَ الَّذِي أَخَذَ عَلَيْكُنَّ نُوحٌ أَنْشُدُكُنَّ الْعَهْدَ الَّذِي أَخَذَ عَلَيْكُنَّ سُلَيْمَانُ أَنْ لا تُؤْذُونَا فَإِنْ عُدْنَ فَاقْتُلُوهُنَّ)[9]. فمدار هذه الروايات على صيفي[10]عن أبي السائب[1]. ويكفي هذا في تضعيفها. في حين كانت الروايات

---

[1] أبو داود، كتاب، 4571

[2] رواياته الثلاث : 1-"ليس منا من لم يتغن بالقرآن"2-إن يوم الجمعة سيد الأيام ...."3-"يجزئ عنك الثلث"

[3] انظر: مسند أحمد، 23987، 23086. موطأ مالك، كتاب الجامع

[4] الرواية الأخرى التي انفردت بها هي ما جعلتُه بين قوسين. وهذه الرواية أخرجها ابن ماجة قال: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ عَنْ نَافِعٍ عَنْ سَائِبَةَ مَوْلاةِ الْفَاكِهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ أَنَّهَا دَخَلَتْ عَلَى عَائِشَةَ فَرَأَتْ فِي بَيْتِهَا رُمْحًا مَوْضُوعًا فَقَالَتْ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا تَصْنَعِينَ بِهَذَا قَالَتْ نَقْتُلُ بِهِ هَذِهِ الأَوْزَاغَ [فَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَنَا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا أُلْقِيَ فِي النَّارِ لَمْ تَكُنْ فِي الأَرْضِ دَابَّةٌ إِلا أَطْفَأَتِ النَّارَ غَيْرَ الْوَزَغِ فَإِنَّهَا كَانَتْ تَنْفُخُ] عَلَيْهِ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِهِ . انظر: سنن ابن ماجة، كتاب الصيد، 3222. كما روى الرواية ذاتها الإمام أحمد تحت رقم 23393، 23636.

[5] أبو داود، كتاب الأدب، 4577

[6] قلت: لعلها نوع خاص من الأفاعي يفيد ولا يؤذي، وفي بلادنا حية صغيرة نسميها (حية موسى) لا تؤذي ولا يقتلها الناس، لكنها سوداء وليست فضية كما يقول عبد الله بن المبارك.

[7] الترمذي، كتاب الصيد، 1403

[8] الترمذي، كتاب الصيد، 1404

[9] أبو داود، كتاب الأدب، 4576. هذا حديث غريب من طريق ابن أبي ليلى، قال عنه أحمد بن حنبل: سيء الحفظ، مضطرب الحديث. وقال شعبة: ما رأيت أحدا أسوأ حفظا منه. أما يحي القطان فقد ضعفه، وقال ابن معين عنه: ليس بذاك. وقد انفرد بالحديث ابن أبي ليلى عن ثابت البناني الذي انفرد به عن عبد الرحمن بن أبي ليلى الذي انفرد به عن أبيه أبي ليلى، فهو غريب في طبقاته الأربعة.

[10] صيفي هذا ليس معروفًا برواية الحديث، حيث إنه لم يرو إلا حديثين، أحدهما هذا الحديث عن أبي سعيد الخدري، والآخر عن كعب بن عمرو أبي اليسر يفيد التعوذ من الهرم. لم يوثقه إلا ابن حبان والنسائي. وابن حبان معروف بتوثيق المجاهيل، أما النسائي فيبدو أنه وثقه بناء على أن حديثيه لا يناقضان الأحاديث الأخرى

عن عائشة وابن مسعود وأبي هريرة متعددة الطرق. وإذا جعلنا أبو لبابة وسائبة وصيفي في صف، وجعلنا عائشة وابن مسعود وابن عمر وأبي هريرة في صف مقابل عرفنا كم هو البون الشاسع.

الاعتراض الثامن:العفريت الذي تفلّت على الرسول صلى الله عليه وسلم ليقطع عليه الصلاة

قالوا: وردت أحاديث تبين أن جنًا اعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة فأمسك به الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد أراد أن يربطه إلى سارية من سواري المسجد، بيد أنه تذكر دعوة سليمان (رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي).

مناقشة هذا الاعتراض:

هذا الحديث غريب، مداره على شعبة عن محمد بن زياد[2] عن أبي هريرة. أي أن أبا هريرة انفرد به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.، وانفرد به عن أبي هريرة محمد بن زياد، وانفرد به عن محمد بن زياد شعبة.

ولو صح هذا الحديث لرواه جمع غفير من الذين حضروا تلك الصلاة، ولرواه عن الصحابة جمع أكبر من التابعين، إذ إن القصة –لو صحت– لكانت مثار جدل كبير. 10

الاعتراض التاسع: طعام الجنّ

قالوا: لقد نصت روايات كثيرة أن الجنّ يأكل العظام بعد أن يكسوها لهم الله لحمًا. لذا يحرم الاستنجاء بها من أجلهم، لأنهم يرفضون أكل عظمة استنجى بها أي إنسان.

مناقشة هذا الاعتراض

لو تتبعنا الروايات التي ذكرت هذا الموضوع للحظنا أن هذه الجملة–وهي أن جن نصيبين سألوا الرسول الزاد– إدراج من أحد الرواة. فقد طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من عبد الله بن مسعود أن يناوله حجرًا يستنجي به في تلك الليلة، فناوله عظما فقال : لا تستنجوا بالعظم فإنه طعام الجنّ.

20 وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقصد الكائنات الدقيقة –غير المرئية بالعين–المسببة للمرض.

ولأن الحديث قيل في هذه الحادثة التي قابل بها الجنّ(المستترين من الناس) ظن أحد الرواة–فيما بعد– أن الجن في الروايتين كائنات قائمة بذاتها، وهي ذاتها تكررت في الروايتين، و لم يفهم أن الجنّ صفة تنطبق على البكتيريا التي لا ترى عادة، وعلى الشخص الذي يأتي خلسة من دون أن يراه أحد؛ فخلط الراوي بين الروايتين، وخرج بنتيجة جديدة خرافية خيالية، حيث فهم أن الجنّ الشبحي سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم الزاد، أو طلبوا منه أن يمنع المسلمين من تلويث طعامهم، فأدرج هذه الجملة.

ولتأكيد ذلك دعنا نتتبع الروايات:

1–أورد الإمام أحمد في مسنده عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُ لَيْلَةَ الْجِنِّ وَمَعَهُ عَظْمٌ حَائِلٌ وَبَعْرَةٌ وَفَحْمَةٌ فَقَالَ لا تَسْتَنْجِيَنَّ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا إِذَا خَرَجْتَ إِلَى الْخَلاءِ[3]

كما رأى النسائي. ولا يُعتدُّ كثيرًا بتوثيق النسائي له لأن النسائي جاء بعده بأكثر من قرن، فلم يكن معاصرًا له، ولا شك أن التعديل والتجريح لا يُسلَّم به بسهولة إذا لم يكن المعدل والمجرح معاصرًا، و لم يذكر يحيى بن معين ولا علي بن المديني ولا أحمد بن حنبل شيئًا عن صيفي. كما أن البخاري لم يرو لصيفي أي حديث.

[1] أبو السائب عبد الله بن السائب مولى هشام بن زهرة لم يرو إلا ثلاثة أحاديث، أحدها حديث الحية عن أبي سعيد الخدري، وحديث جاء فيه أن من لم يقرأ أم الكتاب في الصلاة فصلاته خداج، وحديث جاء فيه: لا يغتسل أحدكم بالماء الدائم وهو جنب. و لم يرو البخاري لأبي السائب أي حديث. و لم يوثقه إلا ابن حبان الذي يوثق المجاهيل، وإلا ابن عبد البر والذهبي. وكل هؤلاء متأخرون لا يُعتد بتوثيقهم كثيرًا ما لم يوثقه كبار العلماء المتقدمين. لذا فإن حديث أبي سعيد مداره على ضعيفين. ولا يجدر أن يظن أحد أن الحديث الذي أخرجه أحمد في مسنده عن زيد بن أسلم متابعًا لطريق صيفي؛ لأن هذه الرواية جاءت من طريق محمد بن عبد الله بن الزبير –وهو ضعيف– عن هشام، ويتضح أن خلطًا بالمتن قد حصل، ووضع أبو سعيد في المتن بدلا من أبي لبابة.

[2] محمد بن زياد أبو الحارث لم يرو إلا عن أبي هريرة مجموعة من الأحاديث، وروى حديثًا واحدً عن عبد الله بن الزبير يتعلق بفتنة استعاذته بالحرم لم يتابع فيه. أما أحاديثه عن أبي هريرة فبعضها لم يتابع عليها. لذا فهو ليس معروفًا بالرواية، ومن هنا ينشأ سؤال: إن قصة تفلت عفريت من الجن الشبحي على رسول الله ε ليقطع عليه صلاته قصة مثيرة، ولو حدثت لنقلها عشرات الصحابة وعشرات التابعين عنهم، أما أن ينفرد بروايتها رجل غير معروف برواية الحديث، فهذا ما لا يُعقل أبدًا.

[3] مسند أحمد

يتضح من هذه الرواية أن نـــهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الاستنجاء بالعظم لا علاقة له بالجنّ، كل ما في الأمر أنه صادف تلـــك الليلـــة التي التقى الرسول ε فيها الجنّ.

2-أورد الإمام مسلم في صحيحه عَنْ دَاوُدَ عَنْ عَامِرٍ قَالَ سَأَلْتُ عَلْقَمَةَ هَلْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ لَيْلَـــةَ الْجِنِّ قَالَ فَقَالَ عَلْقَمَةُ أَنَا سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ فَقُلْتُ هَلْ شَهِدَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْجِنِّ قَالَ لا وَلَكِنَّا كُنَّا مَـــعَ رَسُولِ اللَّهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَفَقَدْنَاهُ فَالْتَمَسْنَاهُ فِي الأَوْدِيَةِ وَالشِّعَابِ فَقُلْنَا اسْتُطِيرَ أَوِ اغْتِيلَ قَالَ فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا هُوَ جَـــاءٍ مِنْ قِبَلِ حِرَاءٍ قَالَ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْنَاكَ فَطَلَبْنَاكَ فَلَمْ نَجِدْكَ فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ فَقَالَ أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ قَالَ فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ [وَسَأَلُوهُ الزَّادَ فَقَالَ لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًـــا وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ و حَدَّثَنِيهِ عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّـــعْدِيُّ حَدَّثَنَا إِسْمَعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ دَاوُدَ بِهَذَا الإِسْنَادِ إِلَى قَوْلِهِ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ[1] *قَالَ الشَّعْبِيُّ وَسَأَلُوهُ الزَّادَ* وَكَانُوا مِنْ جِنِّ الْجَزِيرَةِ إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ مِنْ قَوْلِ الشَّعْبِيِّ مُفَصَّلاً مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ و *حَدَّثَنَاه أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ عَنْ دَاوُدَ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ عَلْقَمَةَ عَـــنْ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى قَوْلِهِ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ وَلَمْ يَذْكُرْ مَا بَعْدَهُ*[2]

لقد أدرج الشعبي هذه الجملة التي بين قوسين، بدليلين:

1-قول مسلم إن هناك رواية من طريق أبي بكر بن أبي شيبة انتهت عند (وآثار نيرانهم). و لم تذكر الجملة المدرجة.

2-الرواية التالية تؤكد بوضوح أن هذه الجملة من قول الشعبي، ولا علاقة لها بالحديث:

أخرج الترمذي في سننه عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ قُلْتُ لابْنِ مَسْعُودٍ رَضِي اللهُ عَنْهم هَلْ صَحِبَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْجِنِّ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَالَ مَـــا صَحِبَهُ مِنَّا أَحَدٌ وَلَكِنْ قَدِ افْتَقَدْنَاهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهُوَ بِمَكَّةَ فَقُلْنَا اغْتِيلَ أَوِ اسْتُطِيرَ مَا فُعِلَ بِهِ فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ حَتَّى إِذَا أَصْبَحْنَا أَوْ كَـــانَ فِي وَجْهِ الصُّبْحِ إِذَا نَحْنُ بِهِ يَجِيءُ مِنْ قِبَلِ حِرَاءٍ قَالَ فَذَكَرُوا لَهُ الَّذِي كَانُوا فِيهِ فَقَالَ أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَأَتَيْتُهُمْ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمْ فَـــانْطَلَقَ فَأَرَانَـــا آثَارَهُمْ وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ *قَالَ الشَّعْبِيُّ* وَسَأَلُوهُ الزَّادَ وَكَانُوا مِنْ جِنِّ الْجَزِيرَةِ فَقَالَ كُلُّ عَظْمٍ يُذْكَرُ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا كَانَ لَحْمًا وَكُلُّ بَعْرَةٍ أَوْ رَوْثَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا زَادُ إِخْوَانِكُمُ الْجِنِّ قَالَ أَبو عِيسَـــى هَـــذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ[3]

فهذا استنتاج من الشعبي لا علاقة له بالحادثة، وهو خطأ بيِّن.

الاعتراض العاشر: الأحاديث التي تبين أن الشيطان يبيت على الخياشيم وأنه سبب الطاعون.

قالوا: وردت أحاديث عديدة لا يمكن أن يُفهم منها بأن الجن هم الكبراء أو المحترفون، وبالتالي فإن هذا التفسير باطل، ومن هذه الأحاديث:

1-ما رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللـــه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَلْيَسْتَنْثِرْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ فَإِنَّ الشَّـــيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيَاشِيمِهِ[4]

2-وما رواه الإمام أحمد عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ قَالَ رَسُولُ اللـــه صَلَّى اللـــه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَاءُ أُمَّتِي بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللـــه هَـــذَا الطَّعْنُ قَدْ عَرَفْنَاهُ فَمَا الطَّاعُونُ قَالَ وَخْزُ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَفِي كُلٍّ شُهَدَاءُ[5]

3-وما رواه الإمام أحمد، كذلك، عَنِ ابْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللـــه صَلَّى اللـــه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَضَعْ يَدَهُ عَلَى فِيهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مَعَ التَّثَاؤُبِ[6]

[1] لاحظ أن رواية إسماعيل بن إبراهيم لا تذكر الجملة المدرجة. ثم لاحظ مباشرة أن الكلام هو من كلام الشعبي. ثم لاحظ رواية أبي بكر بن أبي شيبة وكيف انتهت من دون ذكر أنهم سألوه الزاد.

[2] صحيح مسلم، كتاب الصلاة

[3] الترمذي، كتاب تفسير القرآن

[4] صحيح مسلم، كتاب الطهارة، 351

[5] مسند أحمد، 17707

6 مسند أحمد، 11455 وأخرجه مسلم من طريق بشر عن سهيل بإسناده. وانظر: الدارمي، كتاب الصلاة، 1347

مناقشة هذا الاعتراض

لم نقل إن الجن معناه الكبراء أو المحترفين، بل قلنا: إن الجن صفة، وليس كائنًا قائمًا بذاته، ومن ثم فهو يُطلق على ما استتر عنا، كما يطلق على الذي عنده دهاء في أمر معين، وهنا في الأحاديث -إن صحت- أطلق بمعنى الكائنات الدقيقة، كالبكتيريا، لأنها مستترة عادة، ولا ترى بالعين المجردة، فهي جن. فها هو الشيطان يبيت على الخياشيم، والطاعون وخز أعدائكم من الجنّ، والشيطان يعقد على ما طال من الأظافر، وإذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده فإن الشيطان يدخل، ولا تستنجوا بالعظم فإنه طعام الجنّ.

فهل الجنّ الشبحي يبيت على الخياشيم؟ وهل يسبب الطاعون؟ وهل يفضل السكن تحت الأظافر الطويلة؟

إن في هذه الأحاديث دليلاً على ما قلناه من تفسير للجن، أما التفسير المتداول فلا يمكن أن يصح؛ بل ثبت بطلانه نقلاً وعقلاً وعلمًا. أمّا تفسيرنا فإنه يزيد من قدر رسولنا محمد ع، ويبين الإعجاز في كلامه، وبأنه وحي يوحى؛ إذ إنه تحدث عن الميكروبات والكائنات الدقيقة قبل اكتشافها بثلاثة عشر قرنا ونيف.

10

الخاتمة

كنت في الرابعة عشرة من عمري عندما ذُكر أمامي أن الجنّ يسكن مقبرة القرية.. كذّبتُ ذلك بسرعة، فقيل لي: ليس لك إلا أن تجرِّب بنفسك لترى هول ما يصيبك من الجن، ولتندم ندمًا كبيرًا على الاستخفاف بهذا العالم المخيف. قلت: سأجرِّب أمامكم، فذهبت أمامهم إلى المقبرة في تلك الليلة المظلمة وشاهدوني من مسافة بعيدة أنام بين القبور، لقد أخذتني غفوة.. وعندما عدتُ من دون أن يصيبني أي مكروه، قيل لي: لقد رأينا شهابًا ينقضُّ من السماء، ولا شك أن الله تعالى أرسله ليحرق الجنّ الذي كان يودّ إيذاءك. قلت: ليس لدي وقت لأكرر هذه العملية، ولو كررتها لأعدت كلامك ذاته.

سردت هذه القصة -رغم عدم أهميتها- لأؤكد لمن لا يحبون النظر في الأدلة أو ليس لهم طاقة على ذلك، أنني قادر -بإذن الله- على دحض أي دليل على وجود الجن الشبحي من ناحية عملية، وقد ذُكرت أمامي مئات القصص حول الجن الشبحي وأعماله الشّريرة، فكنت أقول للمتحدث: لا أريد غير أسماء أبطال هذه القصة لأبيِّن لك أن لا أصل لها..

20 المشكلة في أن الناس يبالغون في حديثهم وفي نقلهم ما يسمعون، ولو التزم كل شخص بنقل ما سمع حرفيًا ما كثرت هذه القصص.

الظريف أنه في بيئة الدروز تكثر القصص حول تناسخ الأرواح، وفي الأحياء الإسلامية الفقيرة المكتظة تكثر قصص التلبس، بينما في الأحياء الراقية الغنية المثقفة لا تكاد تسمع شيئًا حول ذلك..

السبب بسيط، فالطفل الدرزي ينشأ في بيئة تعلمه كل يوم أن روحه قد جاءته من شخص آخر، وهذا الشخص قد يكون جدُّه أو جاره الذي مات منذ عشرات السنين، فيبدأ هذا يفكر ويبحث عن الشخص السابق له في روحه، وتسيطر هذه الفكرة على دماغه، فتنشأ عنها قصص ويرتبط بها حوادث. فإذا أصيب أحدهم بمرض نفسي، وصار يتحدث بغرابة تراهم يقولون: لقد تحدث عن الشخص الذي كانت روحه حالّة فيه، ومن خلال مبالغات الناس وعدم تحريهم الحقيقة تُنسج أساطير كثيرة، ويظن كثير منهم أنها متواترة، لكن لا تحدث أي قصة من هذا النوع في أي بيئة مسلمة..

وهكذا بالنسبة إلى كثير من المسلمين.. قرءوا في القرآن عن الجن، وفهموا أن هناك عالَما آخر..يفكر ويؤمن ويكفر ويرانا ولا نراه، فما كان منهم إلا أن عزوْا إلى هذا الجن كل ما يجهلونه من أمراض وحوادث غريبة.. بينما لا تسمع شيئًا حول هذه القصص في بيئة لا تؤمن بالجن

30 الشبحي..وخير مثال على ذلك أنك قد لا تجد أحدًا في مخيمي طولكرم لا يحفظ قصة حول الجن الشبحي بعد حرب الخليج، بينما لم يسمع سكان الشميساني في عمَّان شيئًا حول هذا.. حصل هذا كله لأن بعض الشباب في مخيم طولكرم احترفوا صناعة (إخراج الجن)، ونُقل عنهم قصص مثيرة، وصدّق الناس.. العجيب في ذلك أن عدد الذين كانوا يعملون في (وظيفة!) (إخراج الجن!) تضاعفت أعدادهم كثيرًا في مطلع التسعينيات، وكنت، حينذاك، أسمع قصة جديدة مع مطلع كل نهار.. ولو عدت إلى السبب لرأيت إحباطًا أصاب الناس نتيجة حرب الخليج التي جاءت نتائجها على عكس ما كانوا يتوقعون، وما نتج عنها من طوق أمني تمّ بموجبه منع الناس من مغادرة مساكنهم، وحُرمت كثير من العائلات من عوائدها من أبنائها الذين كانوا يعملون في الخليج... فقر وفراغ وهزيمة، فإحباط.. فمرض نفسي.. فجن!! فعيادات أشباح .. فقصص..

وبعد أن أفاق الناس قلَّت القصص كثيرًا.. وعندما قلنا: لا أشباح البتة، كادت القصص تنتهي، وفي قريتنا انتهت.

لذا أكرر في نهاية هذا الكتاب أننا لا نقوم بإبطال الجن الشبحي نظريًا، بل وعمليًا. ونكرر تحدينا لمن ما زال يؤمن بهذه الخرافات الشبحية، ولا زال يصر على عدم تحكيم القرآن العظيم، ويصر على تحكيم علماء مخطئين.. التحدي مفتوح لهؤلاء كلهم، عبر مناظرات في هذا الموضوع..

آن الأوان أن ننهض لبناء أمتنا.. من خلال التزامنا أوامر ديننا.. بالرجوع إلى النبع الصافي في القرآن المجيد وفي السنة الصحيحة.. ومن خلال تجاوز التفسيرات الخاطئة المتناقضة.. كي نتجنب التخلف والجهل، ولتعد أمتنا أمة ناهضة قائدة مبدعة بين الأمم.. إننا نمتلك الدين الصحيح المنسجم مع الفطرة ومع العقل، ونمتلك الأخلاق الرفيعة، فلنطلِّقِ التخلف والجهل ولنعمل لنكون قادة الإنسانية، لنهديها إلى الحق والعدل والحياة الكريمة.